

# بعضُ الصفاتِ العمليّةِ

# لرسولِ اللّه ـ ﷺ ـ

# وأثرها في المجتمع


إعداد

**د/ آمنة جابر عبد الحميد قطب**

المدرس بقسم الحديث وعلومه

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة

# بعض الصفات العملية لرسول الله ﷺ وأثرها على المجتمع

**آمنة جابر عبد الحميد**

قسم الحديث وعلومه، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات،.جامعة الأزهر ، القاهرة،مصر .

البريد الإلكتروني:DR.amenagaber@yahoo.com

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى توضيح الصفات الكريمة التي طبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمليا في حياته ،واتبعت في البحث المنهج الإستقرائي لهذه الصفات بالملاحظة الدقيقة من خلال المواقف لتطبيق نبي الأمة صلى الله عليه وسلم لهذه الصفات .وأيضا رادف المنهج الأستقرائي المنهج النفسي الذي من شأنه أن تستخدمه كل العلوم التي تجعل من السلوك الأنساني وتطوره موضوعا لها وكان من أهم نتائج البحث :أنه لا بد من إعادة القيم الأخلاقية الإسلامية إلى مكانها الصحيح، فى إطار التكامل بين الدين والدنيا، لتحقيق الوسطية التى هي حقيقة الإسلام . فهذه هي السيرة والأخلاق التي ينبغي أن نحياها في مشاريعنا ومناهجنا ومسيرتنا في هذه الحياة ،لاالأخلاق المادية الأنانية التي يتخلق بها الأنانيون والمصلحيون.فالمشاريع المادية الوضعية لاتتصف إلا بالأخلاق الجاهلية الجافة ، ولاتعير إلى القيم الروحية والإنسانية أدنى أهمية.إن مثل هذه الأخلاق التى اتصف بها ﷺ تجعل الحياة مليئة بالسعادة الروحية ،والراحة النفسية ،واطمئنان القلب .ولتحقيق ذلك على الدوام يجب علينامطالعة السيرة النبوية الشريفة والعمل بها واتخاذ النبي ﷺ قدوة لنا في حياتنا .

**الكلمات المفتاحية:** الخلق، الأدب، السماحة، الإصلاح، الرجولة، التواضع، الوقار.

# Some of the Practical Qualities that the Messenger of Allah (PBUH) and their Impact on Society

**Amena Gaber Abdel-Hameed.**

Department of Hadith and its Sciences , Faculty of Islamic And Arabic Studies for Girls , Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

Email: DR.amenagaber@yahoo.com

**Abstract**:

This study aims to spotlight the noble qualities that the Messenger of Allah (peace and blessings be upon him) has applied practically in his life. It adopts an inductive approach to precisely observe how the Prophet of the nation (peace and blessings be upon him) has applied these traits through situations. In addition, it adopts a psychological approach that is used by all the sciences that make human behavior and its development their area of study. One of the most important conclusions of the study is that it is necessary to put Islamic moral values to their rightful place, within the framework of integration between religion and the world, to achieve moderation, which is the reality of Islam. it is his biography and morals that we should live by in our projects, curricula, and our path in this life, not the selfish materialistic morals practiced by selfish people and those who care for their interests. Man-made materialistic projects are only characterized by dry pre-Islamic morals, and do not give the slightest importance to spiritual and human values. The morals characterizing the Prophet (peace and blessings be upon him) make life full of spiritual happiness, psychological comfort, and peace of mind. To achieve this constantly, Muslims should read the

honorable biography of the Prophet (peace and blessings be upon him), work according to it, and follow the Prophet who is a role model for us in our lives.

**Keywords:** Manners, politeness, tolerance, reform, manhood, humility, dignity

**المقدمة**:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، نحمدُه سبحانَه ولا نحصي ثناءً عليه، أرسل نبيَّه محمّدًا ﷺ بالهدى ودينِ الحقِّ ليظهرَه على الدينِ كلِّه فارتضى له الإسلام دينًا، وجعل القرآنَ له خُلُقًا، امتنَّ عليه بالصفاتِ الفاضلةِ، ثم أثنى عليه قائلًا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الخلق والأمر وبيده الخير وهوعلى كلِّ شيء قدير، يعطي من يشاءُ بفضله ورحمته، ويمنع مَن يشاءُ بعدلِه وحكمَته، قسّم بينهم أخلاقهم كما قسم بينهم أرزاقهم فجعل نصيبَ المصطفى ﷺ من الرزق كفافًا[2] ومن الأخلاق كمالًا، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[3].

---

(١) سورة القلم، آية رقم (٤).

(٢) تشير هذه العبارة إلى حديث صحيح أخرجه بمعناه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق / باب كيف كان عيش النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ٦٤٦٠/٩٨/٨ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَال رسول ﷺ «اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا» وبلفظه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق/ باب في الكفاف والقناعة ١٩/٢٨٨١/٤ حديث أبي هريرة رضى الله عنه بلفظه ، وفي إسناد آخر قال الإمام مسلم رحمه الله: وَحَدَّثَنَاهُ أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ، ذَكَرَ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ ، وَقَالَ: «كَفَافًا». وهُوَ كما في النهاية في غريب الحديث لابن الأثيرالجزري (١٩١/٤): الَّذِي لَا يَفْضُل عَنِ الشَّيْءِ، وَيَكُونُ بقَدْرِ الحاجةَ إِلَيْهِ. وَهُوَ نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ.

(٣) سورة الجمعة آية رقم (٤).

**وبعدُ**:

فقد كان رسولُ الله ﷺ – قبل أنْ يبعثَه الله تعالى بالرسالةِ العظمى في الذروةِ العليا مِنَ الأخلاقِ الحسنةِ – صدقا، وأمانة، وكرمًا، وحلمًا، وشجاعةً، وعفّةً، وقناعة، وغير ذلك مِنَ الصّفاتِ التي يحظى بالإجلال والإكبار من حصل على واحدةٍ منها فضلًا عمّن جُمِعتْ له وتوفّرت فيه. فقد نشأ ﷺ في أوّلِ أمرِهِ إلى آخر لحظة من لحظاته متحليًّا بكلِّ خلقٍ كريمٍ، مبتعدًا عن كلِّ وصف ذميمٍ، فهو أعلمُ النّاسِ وأنصحُهم وأفصحُهم لسانًا، وأقواهم بيانًا، وأكثرُهم حياءً، يُضربُ به المثلُ في الأمانةِ والصدقِ والعفافِ، فكان أرجحَ النّاس عقلًا، وأكثرَهم أدبًا، وأوفرَهم حلمًا، وأكملَهم قوةً وشجاعةً وشفقةً، وأكرمَهم نفسًا، وأعلاهم منزلةً.

وبالجملةِ.. كلُ خُلُقٍ محمودٍ يليقُ بالإنسانِ فله ﷺ منه القسط الأكبر والحظ الأوفر، وكل وصف مذموم فهو أسلم الناس منه وأبعدهم عنه، شهد له بذلك العدو والصديق. ومن تلك الشهادات التي شهد له بها الموالون له والمعادون، الدالة دلالة بينة على تمسكه بالأخلاق الحسنة قبل أن يبعثَه الله تعالى وذلك معلوم من الدين بالضرورة.

**شهادة خديجة**:

لمّا أوحى الله إلى نبيّه ﷺ في غار حراء أوّلَ مرّةٍ ورجع إلى خديجة أخبرها الخبر، وقال: "لقد خَشيتُ على نَفْسي" فقالت له: "كلّا، والله ما

يخزيك الله أبدًا؛ إنّك لتصلُ الرّحمَ، وتحمل الكلَّ[١] وتكسب المعدوم[٢] وتقري الضيف، وتعين على نوائب[٣] الحق."[٤]

## شهادةُ كُفّارِ قريش بصدقه ﷺ:

أنَّه لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤] صَعِدَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم علَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: يا بَنِي فِهْرٍ، يا بَنِي عَدِيٍّ -لِبُطُونِ قُرَيْشٍ- حتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يَخْرُجَ أرْسَلَ

---

(١) الكَلّ بالفتح: الثِّقَل مِن كُلِّ مَا يُتَكلَّف. (النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) ١٩٨نصا). (٢٩٨/٢ نصا.

(٢) قال الزمخشري – رحمه الله– فيَ الفائق في غريب الحديث والأثر: فلَان يكْسب الْمَعْدُوم إِذا كَانَ مجدوداً يرْزق مَا يُحرمه غَيره. الفائق في غريب الحديث والأثر (المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ (١٣/٢). وفي النهاية لابن الأثير (١٩١/٣): أرادَت – رضى الله عنها– تكْسِبُ الناسَ الشيء المَعْدُوم الذي لَا يَجِدُونَه مِمَّا يَحْتَاجُون إِلَيْهِ. وَقِيلَ: أَرَادَتْ بالمَعْدُوم الفَقِيرَ الَّذِي صَار مِنْ شِدَّة حاجَتِه كالمَعْدُوم نفسه.

(٣) النَّوَائِبُ: جَمْعُ نَائِبَة، وَهِيَ مَا يَنوبُ الإنسانَ: أَيْ يَنْزِل بِهِ مِنَ المهمّات وَالْحَوَادِثِ. وَقَدْ نَابَهُ يَنُوبُهُ نَوْباً، وانْتَابَهُ، إِذَا قَصَدَهُ مَرَّة بَعْدَ مَرَّة. (النهاية لابن الأثير ١٢٣/٥نصا).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة) (٦٩٨٢/٢٩/٩) ضمن حديث طويل، (ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان/ باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٦٠/١٣٩/١) وذكر الحديث ضمن قصة. فهو متفق عليه. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه.

رَسولًا لِيَنْظُرَ ما هُوَ، فَجَاءَ أبو لَهَبٍ وقُرَيْشٌ، فَقالَ: أرَأَيْتَكُمْ لو أخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلًا بالوَادِي تُرِيدُ أنْ تُغِيرَ علَيْكُم؛ أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟[1]

## شهادة السائبِ المخزومي [2] له ﷺ بحسنِ المعاملَةِ والرفق قبل النبوة:

روي أنَّ السائبَ المخزوميَّ كان شريكَ النبيِّ ﷺ قبلَ البعْثَةِ فجاء يوم الفتح فقال: "مرحبًا بأخي وشريكي لا تداري ولا تماري[3]".[4]

(١) المشهور بصحيح البخاري. المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، والمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله. المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ).

(٢) اسم السائب بن أبي السائب: صيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. قَالَ ابن هشام: السائب بن أبي السائب الذي جاء فيه الحديث عن رسول الله ﷺ: نعم الشريك السائب كان لا يداري ولا يماري– كان قد أسلم فحسن إسلامه فيما بلغنا. قَالَ ابن هشام: وذكر ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أن السائب بن أبي السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ممن هاجر مع رَسُول اللَّهِ ﷺ، وأعطاه يوم الجعرانة من غنائم حنين. قالَ أبو عمر ابن عبد البر: هذا أولى ما عول عليه في هذا الباب. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ اختصارا) (٢/٥٧٣).

(٣) التَّمارِي والمُمَارَاةُ: المُجَادَلَةُ عَلَى مَذْهَبِ الشَّكِّ والرِّيبَة. (النهاية لابن الأثير ٤/٣٢٢ اختصارًا).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢٤/٢٦٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الإيمان (١/٩٤) باب فيمن عمل خيرا ثم أسلم (رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.). (مسند الإمام أحمد بن حنبل ،المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن ==

**شهادة عبد الله بن سلام[1] بصدقه ﷺ:**

روى أصحابُ السننِ عن عبدِ الله بن سلام، قال: "لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل (أسرع) الناسُ إليه، فكنت ممّن جاءه، فلما تبيّنت وجهَه عرفت أنَّ وجهَه ليس بوجه كذاب، فسمعته يقول: "أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"[2].

**شهادةُ الكافرين له ﷺ بالوفاءِ في جميع مراحل حياته:**

كان رسول الله ﷺ عام الحديبية قد أبرمَ صلحًا بينه وبين قريشٍ على أنْ يرجعَ ويعتمرَ مِنَ العامِ المقبلِ، ومن الشّروطِ التي اشترطتها قريشٌ على رسول الله ﷺ أنْ يدخلَ مكة بسلاح الراكب فقط، فلما قدم ﷺ في عمرة القضاء استعد بالخيل والسلاح لا ليدخل بها الحرم وإنما لتكون في متناول يده لو نكثت قريش، وعندما قرب ﷺ من الحرم بعث بها إلى يأجَج[3]، وكان

==

أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)

(١) عبد الله بن سلام بن الْحَارِث الإسرائيلي، ثُمَّ الأَنْصَارِيّ، يكنى أَبَا يُوسُف، وَهُوَ من ولد يُوسُف بْن يعقوب صَلَّى الله عليهما، كَانَ حليفا للأنصار. يقال كَانَ حليفا للقواقلة من بني عوف بْن الخزرج، وَكَانَ اسمه فِي الجاهلية الحصين، فلما أسلم سماه رَسُول اللَّهِ ﷺ عَبْد اللَّهِ، وتوفي بالمدينة فِي خلافة مُعَاوِيَة سنة ثلاث وأربعين، وَهُوَ أحد الأحبار، أسلم إذ قدم النَّبِيّ ﷺ المدينة. (الاستيعاب لابن عبد البر ٩٢٢/٣ اختصارا).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الزهد (٢٤٨٥/٦٥٢/٤) وقال هذا حديث صحيح.

(٣) ) يأجَجُ: بالهمزة وجيمين: علم مرتجل لاسم مكان من مكة على ثمانية أميال. (معجم البلدان ٢٤٢/٥).

خبر ذلك السلاح قد بلغ قريشًا، فبعثت مِكْرز بن حفص في نفرٍ من قريش إلى رسول الله ﷺ فقالوا: "يا محمد، ما عرفت صغيرًا ولا كبيرًا بالغدرِ، تدخل بالسلاح في الحرمِ على قومِك، وقد شرطت لهم أن لا تدخل إلّا بسلاح المسافر". فقال ﷺ: "وقد بعثنا به إلى يأجَح" فقال مِكرز: "بهذا عرفناك بالبر والوفاء"(١).

ومما سبق يتّضح فضلُ اللهِ تعالى على خليلِه محمّدٍ ﷺ بتوفيقِه للاتّصافِ بمكارمِ الأخلاقِ، وذلك فضلُ الله يُؤتيه مَن يشاءُ والله ذو الفضلِ العظيمِ.

ولما بعث الله سبحانه وتعالى رسوله محمَّدًا ﷺ بالنور والهدى إلى الثقلين (الجن والإنس) زاده الله قوّةً في هذه الخصال الحميدة إلى قوّتِه حتى بلغَ الحدَّ الأعلى الذي يمكن أنْ يصلَ إليه إنسان مصداقًا لقول رسول الله ﷺ حيث قال: "إنّما بعثْتُ لأتم صالحَ الأخلاق (٢)".

وقد نوّه الله سبحانه بتفضّلِه وامتنانِه على نبيّه ﷺ فأثنى عليه، ونوه بذكر ما يتحلى به من جميلِ الصفات في آياتٍ كثيرة من كتاب الله العزيز، ومن ذلك قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}. (سورة القلم، آية ٤)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد/ بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ (٣/١٩٤/ ٢٧٣٢) ضمن حديث طويل في قصة صلح الحديبية.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٤/٥١٣) بلفظه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٨٨/١٣٦٨٢): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

فقد أخبر سبحانه في هذه الآية الكريمة عمّا كان عليه المصطفى من أخلاقٍ فاضلةٍ، ووصف خُلُقَه ﷺ بأنّه عظيم، وأكد ذلك بثلاثة أشياء: بالإقسام عليه بالقلم وما يسطرون، وتصديره بـ إن، وإدخال اللام على الخبر، وكلها من أدوات تأكيد الكلام.

وذلك الخلقُ العظيمُ الذي كان عليه – صلى الله عليه وسلم – قد نوه سبحانه بما جَبل عليه نبيَّه ﷺ من الرحمةِ والرأفةِ بالمؤمنين، والحرصِ على ما ينفعُهم في دينِهم وأخراهم، والتألم من كلِّ ما يشق عليهم بقوله سبحانه ممتنا على المؤمنين بإرساله: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌعَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}(١). قال أبو جعفر الطبري في تفسيره: أي: عزيز عليه عنتكم، وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والأذى(٢).

وقال سبحانه: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}(٣)

وقال عزّ من قائل: {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ}(٤).

---

(١) سورة التوبة، آية رقم (١٢٨).
(٢) تفسير الطبري (٥٤٨/١٤) نصا.
(٣) سورة الأعراف، آية رقم (١٥٧).
(٤) سورة الحجرات، آية رقم (٧).

وأشار سبحانه إلى ما اتصف به ﷺ من اللطف والرفق بأمّتِه بقوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}(١)، والمعنى(٢): فبرحمةِ الله يا محمّدُ ورأفتِه بك وبمن آمنَ بك مِن أصحابِك "لنت لهم" لأتباعك وأصحابك، فسهُلت لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقك، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمَه، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك ولم يتبعك ولا ما بُعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم، فبرحمةٍ من الله لِنْتَ لهم.

وهذا غيضٌ من فيضِ صفاتِ أخلاقِه الكريمةِ وصفاته الحميدة، التي لن يستطيعَ الباحثون حصرَها وجمعَها لكثرتِها؛ لذلك رأيتُ أنْ أطلقَ على بحثي هذا (بعض الصفات العمليّةِ لرسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – وأثرها في المجتمع) حتى لا أغلق الباب على الباحثين؛ لأنهلَ وينهل غيري من الباحثين من هذا الفيض الواسع، علّني أكون ممّن يتمثلون بهذه الصفاتِ، ويطبّقونَها في حياتِهم بين مجتمعاتِهم.

**أمَّا المنهجُ المتبعُ في البحثِ كمنهج عملي توصيفي، فكان**:

المنهج الاستقرائي لمجموع هذه الصفات عن طريق ملاحظة تطبيق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للصفة والاهتمام الدقيق بالجزء من

---

(١) سورة آل عمران، آية رقم (١٥٩).

(٢) تفسير الطبري، وهو يسمى بجامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ٣٤١/٧) اختصارًا.

النص – الحديث – الذي يساهم في توفير بيانات دقيقة لأثرها عمليًا على السامعين

ولا شك أنّه كان ملازمًا للمنهج الاستقرائيّ المنهجُ النفسيُّ الذي من شأنِه أنْ تستخدمَه كلُّ العلوم التي تجعل من السلوك الإنسانيَّ وتطوره موضوعًا لها، فضبط النفس وحفظ توازنها كما هو مذكور في واقع تطبيق رسول الله صلى الله عليه وسلم عمليًّا للصفات أمر ضروري لبناء مجتمع صالحٍ على أسسٍ تؤتي أكلَها بإذن ربِّها.

**أمّا المنهجُ الداخليُّ في الدراسةِ، فكان على النحو التالي**:

١. قمت بدراسة صفاتِ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على هذا النحو:

٢. أذكرُ الصّفةَ التي اتّصف بها رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – وأقومُ بتعريفِها لغةً واصطلاحًا، وأتّبعُ ذلك بذكرِ مثالينِ في الغالب أو أكثر يتضح من خلالهما تطبيق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للصفة مما كان له بالغُ الأثرِ في نفوس الصحابةِ – رضوان الله عليهم.

٣. أقومُ بتخْريجِ الآياتِ في الهامشِ بذكرِ اسمِ السّورةِ ورقمِ الآية فيها.

٤. أقومُ بتخريجِ الأحاديثِ النبويّةِ مَنْ مصادِرها الأصليّةِ، فإذا كانَ الحديثُ في الصحِيحيْنِ أو أحدِهما فأكتفي بالإشارةِ إلى مَوطِنه في الصحيحين أو أحدهما بذكرِ الكتابِ والباب وذكرِ نصِّه إنْ لم يكنْ النّصُ موضع الشاهدِ مذكورًا في الأصلِ، أمّا إذا لم يكنْ في أحدِهما فأقوم بتخريجِه وبيان الحكم عليه إمّا بنقلِ قولِ العالمِ المعتمد في الحكم على الحديثِ، كالحافظ الترمذي – رحمه الله – في سنَنِه، والهيثمي في كتابِه (مجمع

الزوائد)، والبوصيري في كتابه (زوائد سنن ابن ماجة)، والحاكم بعد موافقة الذهبي له رحمهم الله ، أو نقل أقوال العلماء شراح الأحاديث كالحافظ ابن حجر رحمه الله، والإمام المباركفوري في شرحه (عون المعبود في شرح سنن أبي داود)، وغيرهم وإلا قمت بدراسة إسناده وبيان أنّه صحيح إنْ كان جميع رجاله ثقات، أو بأنّه حسن إنْ كان أقلَّ مرتبة في إسناد الحديث راوٍ صدوق فأني أقوم بالترجمةِ له بشيءٍ من التفصيل باعتباره السببَ في الحكمِ على الحديث بالحسن، أو بأنّه ضعيفٌ إنْ كان أقلَّ مرتبة في الإسناد راوٍ ضعيف، وأقوم بالترجمة لهذا الراوي من كتب الرجال باعتباره السبب المباشر لتضعيف الإسناد. وهذا وقع في البحث قليلًا جدًّا.

٥. أقوم ببيانِ غريب الأحاديث من كتب غريب الحديث، كالفائق في غريب الحديث، والأثر للزمخشري – رحمه الله – والنهاية في غريب الحديث والأثر للحافظ ابن الأثير – رحمه الله –، وإنْ لم أجِدْه في كتب غريب الحديث، أبحث عنه في كتب غريب اللغة وأثبته منها.

٦. توثيق جميع أحداث السنة النبوية المطهرة من مصادرها من كتب السيرة المسندة.

## أسبابُ اختيارِ البحثِ، وأهميّتُه:

وقد كان عندي دوافع وراء اختياري موضوع هذا البحث، منها:

- إنَّ بناءَ منظومةٍ متكاملةٍ منَ الأخلاقِ الحسنةِ أمرٌ نسعى إليه بأقصى جهدِنا، ونبذلُ في سبيلِه الكثيرَ مِنَ الوقتِ والتّعبِ، ولا يكاد يختلفُ أحدٌ على أنَّ الأخلاقَ الحسنةَ من الأمورِ المهمّةِ التي لا يستغني عنها أيُّ مجتمعٍ أو جماعةٍ أو فردٍ. فلا يستقيم التواصل والاتصال بين الناسِ على

نحـوٍ سـليمٍ ولا تنـتظمُ العَلاقـات علـى تنوعهـا دون الأخـلاق الحسـنة، فـإذا انعدمت أو تخلّفَ الناسُ عنها وعن التحلي بها، وقع المجتمع برمّتِه والنـاسُ كلُّهم فـي حـرجٍ، وتـأثرت حيـاتُهم تـأثّرًا بالغًـا؛ فـالأخلاقُ الحسـنةُ هـي عمـادُ المجتمعاتِ والأممِ، وهـي التـي تقيهـا مـن الانحرافات، وتعصـمُها منَ الفسـادِ والانزلاقِ في وحلِ التخلف الثقافي والحضاري، وتتعدى أهمية الأخـلاق للفرد لتشمل المجتمع بأسرِه. ولمّا كـان رسول – الله صلى الله عليه وسلم – هو المثل الذي يَحتذي به أيُّ مؤمنٍ وهو الذي لنا فيه – صلى الله عليه وسلم – الأسوة الحسـنة كـان الاختيـار لتطبيقـه – صـلى الله عليـه وسـلم – لـبعض الصفات الخلقيـة أمرًا حتميًّا؛ لأنَّ خلقَه العظيمَ – صـلى الله عليـه وسـلم – يشكّل معيارًا لمجموعةٍ من المبادئ والقواعد الناظمةِ لسلوكِ الإنسان وتحديد علاقتهم بغيرِهم علـى نحـوٍ يحقّقُ الغايـةَ مـن وجودِهم فـي هذا العـالمِ علـى الوجه الأكمل والأمثل.

- دراسةُ صفاتِه وأخلاقِه – صلى الله عليه وسلم – تساعدُ الفردَ على ضـبطِ شـهواتِه وهواه ومطـامعِ نفسِـه حيثُ تكونُ تصـرّفاتُه كلُّهـا متّسقة علـى ضوءِ ما يتحلى به – صلى الله عليه وسلم – من الأخلاق الحسنة. كما أنّها تسـمو بـالإنسـان فـوق الماديـاتِ المحسوسـةِ فيرتفـعُ الإنسـانُ بـالأخْلاقِ إلـى درجاتٍ رفيعةٍ منَ الإنسانيّةِ.

- كما أنَّ الصفاتِ الحسنةِ تكسب الفردَ جزاءً حسنًا في الحياةِ الآخرةِ، ويتمثّل هذا الجزاءُ بالأجرِ الكريمِ والثوابِ الحسنِ من رضا الله تعالى والقبولِ منه والفوزِ بجنته.

## أهمية البحث:

تنْبعُ أهميّةُ البحْثِ من أهميّةِ تطبيقِ الأخلاقِ الحسنةِ في الحياةِ بشكلٍ واقعيٍّ، مما يعد وراء السبب الحقيقي في حفظ المجتمعات ودوام مجدها وعزتها، بينما يعد انحلال الأخلاق سببا في زوال المجتمعات وانحلالها وتلاشي أثرها، فقد تعرّضتِ أممٌ سابقةٌ لسخطِ اللهِ عليها فحلَّ عليها عذابُه، بسببِ ما كانت عليه من سوءِ الخُلقِ، وشاهد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾[1]. فسوءُ الأخلاقِ مؤذنٌ بخرابِ المجتمعِ ودمارِهِ وانهيار كيانِه. فالأخلاقُ تحفظ على المجتمع تماسُكه واستقراره بتحديدها للمثل العليا والمبادئ الأساسية التي يقوم عليها، مما يجعلُ الحياةَ الاجتماعيّةَ سليمةً ويبقيها متواصلةً، وتساعد المجتمعَ على مواجهةِ التغيرات التي تحدث فيه، وذلك بتحديدها للاختيارات الصحيحة والسليمة التي تسهل حياة عموم الناس، وتحفظ كيان المجتمع في إطارموحد ومحدد. كما أنَّ الأخلاقَ تقي المجتمعَ من الأنانيةِ المفرطةِ، وطَيْشِ الشهواتِ، ونزواتِ الأهواء التي تضر بأفراده، وتخل بنظامه ذلك كله كان اختياري لبحث في الأخلاق وبالأخص خلقه الكريم – صلى الله عليه وسلم – مصادفًا هوى في قلبي؛ حيث إنَّ في أخلاقه – صلى الله عليه وسلم – صورة حيّةً لما يجب أنْ يكونَ عليه كلُّ فردٍ مِنْ أخلاقٍ طيّبةٍ في حياتِه.

---

(١) سورة الإسراء، آية رقم (١٦، ١٧).

**وقد جاءت خطة البحثِ على النحو التالي**:

**أولا**:

المقدمة، وجاء فيها بيانُ أخلاقِ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم –، وثناءُ الله تعالى على خلقِه وشهادات الأصحاب والأعداء له – صلى الله عليه وسلم – بحُسنِ الخلقِ، ثم أوضحت فيها المنهجَ الخارجيَّ والداخليَّ للدراسة، وأسباب اختيار الموضوع، وأهميته، والخطة المتبعة.

**ثانيا**:

توطئة وفيها: تعريف الصفة، وتعريف الخلق، وبيان "هل الخلق فطريٌّ أم مكتسبٌ؟".

**ثالثا**:

جوهر البحث، وتناولت فيه عشرين خُلُقًا مِنَ الأخلاقِ التي كان عليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حياته الكريمةِ من ناحية تطبيق الرسول – صلى الله عليه وسلم – لها من خلال بعض المواقف المذكورة في الأحاديث النبوية، وبناءً على ذلك لم أذكر دراسات سابقة للموضوع؛ فهناك الكثير من الأبحاث عن خلقه – صلى الله عليه وسلم –، ولكنّي تناولتُ الجانب العمَليَّ لتطبيق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لها.

**رابعا**:

الخاتمة، وفيها أهمُّ ما أسفرَعنه البحثُ من نتائج وتوصيات.

**خامسا**:

المصادر والمراجع.

وبعد.. فإنّي أسألُ الله تعالى توفيقَه وسدادَه، كما أسألُه أنْ يكون هذا العملُ مقبولًا عنده، وعند عبادِه، وأنْ يرزقَنا الإخلاصَ وقبول الأعمالِ على الدوام... وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

## توطئةٌ:

## تعريفُ الصِّفَةِ:

الصفةُ لغةً: النعتُ، وشرعًا: الاسمُ الدّال على بعضِ أحوالِ الذّاتِ، نحو: طويل وقصير وعاقل وأحمق... وغيرها. وقال بعضهم: ما دلَّ على معنًى زائدٍ على الذات محسوس، كالأبيض أو معقول كالعلم. والصفات أنواعٌ والمقصود بها هنا الصفات الجمالية: وهي ما يتعلق بالرحمة واللطف... ونحو ذلك.[١]

والصفة الحسنة إذا صارت وصفا ملازما للمرء صارت خلقا له ولذلك حصل له صلى الله عليه وسلم كمال الخلق بست خصال :

إحداهن: رجاحة عقله وصحة وهمه وصدق فراسته صلى الله عليه وسلم، وقد دل على وفور ذلك فيه صحة رأيه وصواب تدبيره وحسن تألفه، وأنه ما استفعل في مكيدة ولا استعجز في شديدة بل كان يلحظ الإعجاز في المبادىء فيكشف عيوبها ويحل خطوبها وهذا لا ينتظم إلّا بأصدق وهم وأوضح جزم.

والخصلة الثانية: ثباته في الشدائد وهو مطلوب، وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب، ونفسه في اختلاف الأحوال ساكنة لا يجوز في شديدة ولا يشكين لعظيمة أو كبيرة ويقدر على الخلاص أو بالشر وهو لا يزداد إلّا اشتدادا وصبرا، وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي

(١) التوقيف على مهمات التعاريف(٢١٧/١). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لإيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ).

ويهدد الصياصي، وهو مع الضعيف يصابر صبر المستعلي ويثبت ثبات المستولي.

والخصلة الثالثة: زهده في الدنيا وإعراضه عنها وقناعته بالبلاغ منها فلم يمل إلى نضارتها ولم يلتفت إلى حلاوتها.

والخصلة الرابعة: تواضعه للناس وهم أتباع وخفض جناحه لهم وهو مطاع يمشي في الأسواق ويجلس على التراب ويمتزج بأصحابه وجلسائه فلا يتميز عنهم إلّا بإطراقه وحيائه فصار بالتواضع متميزا وبالتذلل متعزز وهذا من شرف أخلاقه وكريم شيمه، فهي غريزة فطر عليها وجبلة طبع بها لم تندر فتعدّ ولم تحصر فتحدّ.

والخصلة الخامسة: حلمه ووقاره عن طيش يهزّه أو خرق يستفزه، فقد كان أحلم في النفار من كل حليم وأسلم في الخصام من كل سليم وقد عايش جفوة الأعراب فلم يوجد منه نادرة ، ولم يحفر عليه بادرة ولا حليم غيره إلّا ذو عثرة، ولا وقور سواه إلّا ذو هفوة، فإن الله تعالى عصمه من نزغ الهوى وطيش القدرة بهفوة أو عثرة ليكون بأمته رؤوفا ،وعلى الخلق عطوفا، قد تناولته قريش بكل كبيرة ،وقصدته بكل جريرة وهو صبور عليهم ومعرض عنهم وما تفرد بذلك سفهاؤهم دون حلمائهم ،ولا أراذ لهم دون عظمائهم بل تمالأ عليه الجلة والدون ، فكلما كانوا عليه من الأمر وألح كان عنهم أعرض وأفصح حتى قهر فعفا وقدر فغفر.

والخصلة السادسة: حفظه للعهد ووفاؤه بالوعد، فإنه ما نقض لمحافظ عهدا ولا أخلف لمراقب وعدا، يرى الغدر من كبائر الذنوب والإخلاف من

مساوىء الشيم فيلتزم فيهما الأغلظ، ويرتكب فيهما الأصعب حفظا لعهده ووفاء بوعده حتى يبتدىء معاهدوه بنقضه فيجعل الله تعالى له مخرجا.(١)

بالتزامه صلى الله عليه وسلم بهذه الخصال والصفات صارت له خلقا دائما ومن ثم كان لابد من تعريف الخلق، وبيان هل هو فطري مكتسب؟

## تعريفُ الخُلقِ:

الأخلاقُ جمعُ خُلُق (بضمّ الخاءِ واللامِ ويجوزإسكانها)، قال الراغب: الخلق (بالفتح وبالضم) فى الأصلِ بمعنى واحد، كالشرب والشرب، لكن خصَّ الخَلق – الذى بالفتح – بالهيئات والصورالمدركة بالبصر، وخصَّ الخُلق – الذي بالضم – بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة.(٢)

ومَوضوعُ بحثِنا عَنْ (الخُلُقِ) بالضم.

## هل الخلق غريزة أم مكتسب؟

وقد اختلف: هل حُسنِ الخُلُق غريزة أو مكتسب؟ فقد قال القرطبى: الخلق جبلة في نوع الإنسان، وهم في ذلك متفاوتون، فمن غلب عليه شيء منها كان محمودًا، وإلّا فهو المأمور بالمجاهدة فيه حتى يصيرَ محمودًا، وكذا إنْ كان ضعيفًا فيرتاض حتى يقوى. وقد وقع فى حديث الأشج أنَّه – ﷺ– قال له: «إنَّ فيك لخصلتين يحبُّهما الله: الحلم والأناة»، قال: يا رسول

(١)أعلام النبوة لإبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ).

(٢) المفردات في غريب القرآن ،المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) (٢٩٧/١)نصا.

الله، قديمًا كانا أو حديثا؟ قال: «قديما»، قال: الحمدُ لله الذي جبلني على خلتين يحبُّهما الله.[1] فترديدُ السؤالِ وتقريره عليه بأنَّ في الخُلُق ما هو جبلي وما هو مكتسب. وقد كان – ﷺ– يقول: «اللهم كما حسّنت خَلْقي فحسّنْ خُلُقي»[2]. وعند مسلم في حديث دعاء الاستفتاح: «واهدني لأحْسَن الأخلاقِ لا يهدي لأحسنِها إلّا أنت»[3]. ولما اجتمع فيه – ﷺ– من خصالِ

(١) أخرجه ابو داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)_ –في سننه كتاب الأدب /باب في قبلة الرجل (٥٢٢٥/٣٥٧/٤) ، وقَالَ الْمُنْذِرِيُّ :وَأَخْرَجَ هَذَا الْحَدِيثَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ فِي مُعْجَمِ الصَّحَابَةِ–١/–٥٢٢ وَقَالَ : وَلَا أَعْلَمُ لِزَارِعٍ غَيْرَهُ وَذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو النَّمَرِيُّ أَنَّ كُنْيَتَهُ أَبُو الزَّارِعِ ، وَأَنَّ لَهُ ابْنًا يُسَمَّى الزَّارِعُ وَبِهِ كَانَ يُكْنَى وَأَنَّ حَدِيثَهُ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ وَأَنَّ حَدِيثَهُ هَذَا حَسَنٌ. (عون المعبود ١٤ /٩٢). قلت : في اسناده : أم ابان بنت الوازع ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٩) : رَوَاهُ أَحْمَدُ وَفِيهِ هِنْدُ بِنْتُ الْوَازِعِ وَلَمْ أَعْرِفْهَا، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ. وقال عنها ابن حجر في التقريب (٧٥٥/١): مقبولة.انتهى،قلت: ولكن أصل حديث الأشج رضى الله عنه صحيح ، أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان / بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ(١٧/٤٨/١)، وفيه: : وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: " إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ "

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٧٣/٦)، واسناده حسن ، فيه محمد بن فضيل بن غزوان الضبي مولاهم أبو عبد الرحمن الكوفي قال أحمد بن حنبل: كان حسن الحديث. وقال ابن معين : ثقة ، وقال أبو زرعة: صدوق من اهل العلم .وقال العجلي : ثقة، وقال ابن حجر: صدوق. ( الثقات للعجلي ٢ ٥٠٢،الجرج والتعديل لابن أبي حاتم ٥٧/٨، التقريب لابن حجر:٢٠٥/١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة/ باب الترغيب في صلاة الليل وقيامه (٧٧١/٥٣٤/١).ضمن حديث طويل.

الكمالِ ما لا يحيط به حد، ولا يحصره عد، أثنى الله تعالى عليه في كتابِه الكريم، فقال: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}، وكلمة (على) للاستعلاءِ، فدلَّ اللفظ على أنَّه مُسْتَعلٍ على هذه الأخلاقِ ومُسْتَولٍ عليها.[1]

## الصفة الأولى (الاحتساب):

**الاحتسابُ لغةً:** مصدر احتسب، وهو من مادّة (ح س ب) الّتي تدلّ في اللّغة على معانٍ عديدة، والذي يخصُّنا منها هنا (الحِسْبَة) وهو الأجر أو احتساب الأجر، ويقال: احتسب بكذا أجرًا عند الله، وفي الحديث: «مَنْ صامَ رمضان إيمانا واحتسابًا»[2]. أي طلبًا لوجهِ الله تعالى وثوابه. والاحتساب في الأعمال الصّالحة وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتّسليم والصّبر، أو باستعمالِ أنواعِ البرّ والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلبا للثّواب المرجو منها[3]. والحِسْبَة، بالكسر: الأَجْرُ، واسمٌ من الاحْتِسابِ. ومن الآياتِ القرآنيّةِ الواردةِ في ذلك المعنى قوله

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) (١٠١/٢)، ومن أخلاق الرسول الكريم للشيخ عبد المحسن العباد بدر (٣٨/١) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان/ باب صوم رمضان احتسابا من الإيمان (٣٨/١٦/١)، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة/ بَابُ التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، وَهُوَ التَّرَاوِيحُ (٧٥٩/٥٢٣/١). فهومتفق عليه.

(٣) النهاية لابن الأثير (٣٨٢/١)، والقاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) (٧٤/١) بتصرف.

تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠﴾[3]

**الاحتسابُ اصطلاحًا هو**: الاحتسابُ في الأعمالِ الصّالحةِ وعند المكروهاتِ هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتّسليم والصّبر، أو باستعمال أنواع البرّ والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلبا للثّواب المرجوّ منها.[4]

**التطبيق العمليّ في حياة رسول الله ﷺ لصفة الاحتساب:**

**المثال الأول:**

عن أبي سعيدٍ الخدريّ – رضي الله عنه – قال: دخلت على النّبيّ ﷺ وهو يُوعَكُ[5] فوضعت يدي عليه، فوجدت حرّه بين يديّ فوق اللّحاف، فقلت: يا رسول الله، ما أشدّها عليك! قال: «إنّا كذلك، يضعّف لنا البلاء،

(١) سورة الشعراء، آية رقم (١٠٩).
(٢) سورة فاطر، آية رقم (٢٩، ٣٠).
(٣) سورة الليل، آية رقم (٢٠، ١٩).
(٤) النهاية لابن الأثير (٣٨١/١).
(٥) (هُوَ يُوعَكُ) عَلَى بِنَاءِ الْمَفْعُولِ، أَيْ: وَهُوَ مَحْمُوم. (حاشية السندي على سنن ابن ماجة ٤٩٠/٢).

ويضـعّف لنـا الأجـر». قلـت: يـا رسـول الله، أيّ النّـاسِ أشـدّ بـلاءً؟ قـال: «الأنبيـاء»، قلـت: يـا رسـول الله! ثـمّ مـن؟ قـال: «ثـمّ الصّـالحون» إن كـان أحـدهم ليبتلـى بـالفقر، حتّـى مـا يجـد أحـدهم إلّا العبـاءة يحويهـا، وإن كـان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرّخاء».(١)

ففي الحديثِ الشريفِ يضربُ ﷺ القدوةَ لأصحابِه في أنَّ ابتلاءَ المرءِ في هذه الدنيا إنَّما يكونُ على قدرِ قربِه وطاعتِه لربِّه – عزَّ وجل –، فكلَّما كان أقوى إيمانًا كان أشدَّ ابتلاءً، وإنْ كان في رقّةٍ مِنْ دينِه كان ابتلاؤه على قدرِ دينِه، ففي الحديثِ الصّحيحِ (قلت: يا رسول الله، أيُّ النّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجلُ على حسب دينه، فإنْ كانَ في دينِه صلْبًا، اشتد بلاؤه، وإنْ كانَ في دينِه رقّةٌ اِبْتُلي على حسب دينِه، فما يبرحُ البلاء بالعبد حتى يتركَه يَمشي على الأرضِ وما عليه خطيئة)(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه–سنن ابن ماجه ،المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)–كتاب الفتن / باب الصبر على البلاء (٢/١٣٣٤/٤٠٢٤) .وقال البويصري في زوائد سنن ابن ماجه (١٨٨/٤): هَذَا إِسْنَاد صَحِيح رِجَاله ثِقَات. وأخرجه الحاكم في المستدرك –المستدرك على الصحيحين ،المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبيالطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ –كتاب الإيمان (١/٩٩/١١٩)، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، فَقَدِ إِحْتَجَّ بِهِشَامِ بْنِ سَعْدٍ، ووافقه الذهبي في التعليق.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه –الجامع الكبير – سنن الترمذي ،المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)– كتاب الزهد / باب ماجاء في الصبر على البلاء(١/٤٣/٢٦٧) وقال : هذا حديث حسن صحيح.

لذلك إذا ابتُلي العبْدُ فليتذكرْ أنَّ الله يكفّرُ عنه سيّئاتِه بهذا البلاءِ، ويرفعُ لـه درجاتـه بهـذا الـبلاءِ، ويجعلـه كالأنبيـاء، فليتـأسَّ بالأنبيـاءِ والصـالحين، وليصبرْعلى ذلك وينتظرالفرجَ من الله؛ فمَن استجابَ لأمرِ اللهِ وصبرَ على امتحانـه واستقامَ على أمرِهِ نـالَ فـي الـدنيا الحيـاةَ الطيّبـةَ، وفـازَ فـي الآخرةِ بالنعيمِ المقيمِ الذي لا يحول ولا يزول، كما حصل للصحابة الكرام في غزوةِ حمراء الأسدِ(١) بعد غزوةِ أُحد وما كان فيها من البلاء المبين والقرح الشديد،

---

(١) غزوة حمراء الأسد: كَانَتْ يَوْمَ الْأَحَدِ لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوّالٍ،وذلك لَمّا صَلّى رَسُولُ اللهِ ﷺ الصّبْحَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَمَعَهُ وُجُوهُ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَكَانُوا بَاتُوا فِي الْمَسْجِدِ عَلَى بَابِهِ– سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأَوْسُ بْنُ خَوْلِيّ، وَقَتَادَةُ بْنُ النّعْمَانِ، وَعُبَيْدُ بْنُ أَوْسٍ فِي عِدّةٍ مِنْهُمْ. فَلَمّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ الصّبْحِ أَمَرَ بلالا أن يُنَادِي: إنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكُمْ بِطَلَبِ عَدُوّكُمْ، وَلَا يَخْرُجُ مَعَنَا إلّا مَنْ شَهِدَ الْقِتَالَ بِالْأَمْسِ.قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَاجِعًا إلَى دَارِهِ يَأْمُرُ قَوْمَهُ بِالْمَسِيرِ. قَالَ: وَالْجِرَاحُ فِي النّاسِ فَاشِيَةٌ، عَامّةُ بنى عبد الأشهل جَرِيحٌ، بَلْ كُلّهَا، فَجَاءَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فقال: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تطلبوا عدوّكم ، فقال أسيد بن حضير، وَبِهِ سَبْعُ جِرَاحَاتٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُدَاوِيَهَا: سَمْعًا وَطَاعَةً لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ! فَأَخَذَ سِلَاحَهُ وَلَمْ يُعَرّجْ عَلَى دَوَاءِ جِرَاحِهِ، وَلَحِقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ. وَجَاءَ سَعْدُبْنُ عُبَادَةَ قَوْمَهُ بَنِي سَاعِدَةَ فَأَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ، فَتَلَبّسُوا وَلَحِقُوا. وَجَاءَ أَبُو قَتَادَةَ أَهْلَ خُرْبَى، وَهُمْ يُدَاوُونَ الْجِرَاحَ، فَقَالَ: هَذَا مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكُمْ بِطَلَبِ عَدُوّكُمْ. فَوَثَبُوا إلَى سِلَاحِهِمْ وَمَا عَرّجُوا عَلَى جِرَاحَاتِهِمْ حَتّى وَافَوْا النّبِيّ ﷺ بِبِئْرِ أَبِي عِنَبَةَ إلَى رَأْسِ الثّنِيّةِ– الطّرِيقُ الْأُولَى يَوْمَئِذٍ– عَلَيْهِمْ السّلَاحُ قَدْ صَفّوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، ودعا رسول الله ﷺ بِلِوَائِهِ، وَهُوَ مَعْقُودٌ لَمْ يُحَلّ مِنْ الْأَمْسِ، فَدَفَعَهُ إلَى عَلِيّ I، وَيُقَالُ دَفَعَهُ إلى أبى بكر. وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ مَجْرُوحٌ. وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثلاثة نفر من أَسْلَمَ طَلِيعَةً فِي آثَارِ الْقَوْمِ: سَلِيطًا وَنُعْمَانَ ابْنَيْ سُفْيَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ دَارِمٍ مِنْ بَنِي سَهْمٍ، وَمَعَهُمَا ثَالِثٌ مِنْ أَسْلَمَ مِنْ بَنِي عُوَيْرٍ لَمْ يُسَمّ لَنَا. فَأَبْطَأَ الثّالِثُ عَنْهُمَا وَهُمَا يَجْمِزَانِ ، وَقَدْ انْقَطَعَ
==

قــال تعــالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ (١)

فالبلاء في حق المؤمنين طعم آخر، حتى إنّ خواصهم ليفرحون بالبلاء كما يفرح غيرهم بالعطاء، مع ما يُدَّخر لهم في الآخرة من الأجر المُضاعف.

فإذا تأمّلْنا سيرتَه ﷺ مع قومِه وصبره في الله، واحتماله ما لم يحتمله نبيٌّ قبله، وتلون الأحوال عليه من سلم وخوف، وغنى وفقر، وأمن وإقامة في وطنه وظعن عنه، وتركه لله، وقتل أحبابه وأوليائه بين يديه، وأذى الكفارله بسائر أنواع الأذى من القول والفعل والسحر والكذب والافتراء عليه والبهتان، وهو مع ذلك كلِّه صابرعلى أمرالله يدعو إلى الله، فلم يؤذَ نبيٌّ مثلما أوذي هو، ولم يحتمل في الله ما احتمله، ولم يعط نبي ما أعطيه؛ فرفع الله له ذكره، وقرن اسمه باسمه، وجعله سيِّد النّاسِ كلِّهم، وجعله أقربَ

==

قِبَالُ نَعْلِ أَحَدِهِمَا، فَقَالَ: أَعْطِنِي نَعْلَك. قَالَ: لَا وَاَللهِ، لَا أَفْعَلُ! فَضَرَبَ أَحَدُهُمَا بِرِجْلِهِ فِي صَدْرِهِ، فَوَقَعَ لِظَهْرِهِ وَأَخَذَ نَعْلَيْهِ. وَلَحِقَ الْقَوْمُ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ، وَلَهُمْ زَجَلٌ، وَهُمْ يَأْتَمِرُونَ بِالرّجُوعِ، وَصَفْوَانُ يَنْهَاهُمْ عَنْ الرّجُوعِ، فَبَصُرُوا بِالرّجُلَيْنِ فَعَطَفُوا عَلَيْهِمَا فَأَصَابُوهُمَا. فَانْتَهَى الْمُسْلِمُونَ إلَى مَصْرَعِهِمَا بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ فَعَسْكَرُوا، وَقَبَرُوهُمَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ ، وَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ حَتّى عَسْكَرُوا بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ.( المغازي للواقدي– المغازي ،المؤلف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)تصرف ٣٣٨/١).

(١) سورة ال عمران أية رقم ( ١٧٢،١٧٣،١٧٤).

الخلقِ إليْهِ وسيلة، وأعظمهم عنده جاهًا، وأسمعهم عنده شفاعة.. وكانت تلك المحن والابتلاءات عين كرامته، وهي مما زاده الله بها شرفًا وفضلًا، وساقه بها إلى أعلى المقاماتِ، وهذا حال ورثته من بعده الأمثل فالأمثل، كل له نصيب من المحنة، يسوقه الله به إلى كمالِه بحسب متابعته له، فلله سبحانه من الحكم في ابتلائه أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين ما تتقاصرُعقولُ العالمين عن معرفتِه، وهل وصل من وصل إلى المقامات المحمودة والنهايات الفاضلة إلّا على جسر المحنة والابتلاء.[1]

## المثال الثاني:

عن جندب بن سفيان – رضي الله عنه – أنَّ رسولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – كان في بعضِ المشاهدِ وقدْ دَمِيَت إصْبَعُه، فقال: "هل أنتَ إلّا إصبعٌ دَمِيت.. وفي سبيل الله ما لقيت"[2][3] فقوله ﷺ دميت: صفة إصبع

---

(١) مِفتاح دار السعادة. (١/٣٠١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير/ باب من ينكب في سبيل الله (٤/١٨/٢٨٠٢)، ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير/ باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (٢/١٤٢١/١٧٩٦). فهومتفق عليه.

(٣) قَالَ الْخَطَّابِيُّ: اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي هَذَا، وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الرَّجَزِ الَّذِي جَرَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ – ﷺ – فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَوْقَاتِهِ، وَفِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ مَعَ شَهَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ لَمْ يُعَلِّمْهُ الشِّعرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ، فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الرَّجَزَ لَيْسَ بِشِعرٍ، وَذَهَبَ بَعضُهُمْ إِلَى أَنَّ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ – وَإِنِ اسْتَوَى عَلَى وَزْنِ الشِّعرِ – فَإِنَّهُ لَمْ يُقْصَدْ بِهِ الشِّعر إِذْ لَمْ يَكُنْ صُدُورُهُ عَنْ نِيَّةٍ لَهُ وَرَوِيَّةٍ فِيهِ، وَإِنَّمَا هُوَ اتِّفَاقُ كَلَامٍ يَقَعُ أَحْيَانًا، فَيَخْرُجُ مِنْهُ الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ عَلَى أَعَارِيضِ الشِّعرِ، وَقَدْ وُجِدَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، وَهَذَا مِمَّا لَا يُشَكُّ فِيهِ أَنَّهُ لَيْسَ بِشِعرٍ، وَقَالَ بَعضُهُمْ: مَعنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ} [يس: ٦٩]، الرَّدُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي قَوْلِهِمْ: بَلِ ==

أي ما أنت يا إصبع موصوفة بشيء من الأشياء إلا بأن دميت كأنها لما توجعت خاطبها على سبيل الاستعارة أو الحقيقة معجزة مسليًّا لها أي تثبتي على نفسك فإنك ما ابتليت بشيء من الهلاك والقطع سوى أنّك دميت، ولم يكن ذلك هدرًا بل كان في سبيل الله ورضاه[١] فهو ﷺ في هذا الحديث قد أصيب بحجرعثر فيه، ودميت إصْبعُه، فصبرَ ولمْ يجْزعَ من تلك الدماءِ. فينبغي للمسلمِ أنْ يقتدي برسولِ الله ﷺ ويصبرَ على ما أصابَه، قال الله – تعالى – في مدح المؤمنين: {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}[٢]، وهذا يؤكّدُ أهميّةَ الصبرِ، وأنَّه يجبُ أنْ يكونَ من أهمِّ صفاتِ المؤمنِ احتِسابُ الأجرِ والثوابِ على الله – عزّ وجل. أنْ يحتسب ما يصيبه فيرجو بذلك ثوابَ اللهِ ويطمع في فضلِه وإحسانِه سبحانه وتعالى؛ ولهذا احتسب قدوةُ المؤمنين – ﷺ – الثوابَ على ربِّه حينما أصيبت إصبعه، فينبغي للمؤمنِ أنْ يحتسبَ

==

افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ. وَالْبَيْتُ الْوَاحِدُ مِنَ الشِّعرِ لَا يَلْزَمُهُ هَذَا الِاسْمُ، فَلَا يُخَالِفُ مَعنَى الْآيَةِ. وَإِنَّمَا الشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي قَصَدَ الشِّعرَ وَنَشِيَهُ وَيَصِفُهُ وَيَمْدَحُهُ وَيَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَ الشُّعَرَاءِ فِي هَذِهِ الْأَفَانِينِ، وَقَدْ بَرَّأَ اللَّهُ رَسُولَهُ – ﷺ – مِنْ ذَلِكَ وَصَانَ قَدرَهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الشِّعرَ لَا يَنْبَغِي لَهُ، وَإِذَا كَانَ مُرَادُ الْآيَةِ هَذَا الْمَعنَى لَمْ يَضُرّ أَنْ يَجرِيَ عَلَى لِسَانِهِ الشَّيْءُ الْيَسِيرُ. (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣١٠٥/٧ نصا). – مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ).

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٨٩/٩ نصا). المؤلف: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ).

(٢) سورة الحج، آية رقم (٣٥).

كلَّ ما يصيبه من المصائبِ والمتاعبِ والمشاقِ حتى يثابَ على ذلك مِنَ اللهِ تعالى؛ قال النبي ﷺ: «ما من مسلمٍ يشاك شوكةً فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة»[1]

قالَ اللهُ تعالى لنبيّه: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[2] فالإنسان يجب عليه أنْ يصبر ويحتسب، ولو رأى في نفسه شيئًا من الغضاضةِ، فليجعلْ ذلك في ذات الله عز وجل، متّخِذًا من رسول الله ﷺ المثلَ الأعلى.

## الصفة الثانية: (الأدب)

الأدبُ هوَ اسمٌ مأخوذٌ من مادّة (أدب) الّتي تدلّ على معنى تجميع النّاس إلى الطّعام، والآدب هو الدّاعي لذلك، ومن هذا القياس أيضا الأدب؛ لأنّه مجمعٌ على استحسانه. قال ابن منظور: سمّي أدبًا لأنّه يأدّب النّاس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح. وقال أيضا: وأصل الأدب الدّعاء، ومنه قيل للصّنيع يدعى إليه النّاس: مدعاة ومأدبة. وقيل الأدب: يقع على كلِّ رياضةٍ محمودةٍ يتخرّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل، وقال الأزهريّ نحوه. فالأدب اسم لذلك، والجمع: آداب، مثل: سبب وأسباب، وأدّبتُه تأديبًا:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المرضى/ باب ما جاء في كفارة المرض (٥٦٤٠/١١٤/٧) ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب/ باب ثوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا (٢٥٧٢/١٩٩١/٤)، فهو متفق عليه.

(٢) سورة الأحقاف، آية رقم ( ٣٥).

مبالغة وتكثير، ومنه قيل: أدّبته تأديبًا: إذاعاقبته على إساءته؛ لأنّه سببٌ يدعو إلى حقيقة الأدبِ، وأدب يأدب أدبًا (من باب ضرب): صنع صنيعًا، ودعا النّاس إليه، فهو: آدب على وزن فاعل.[١]

قال المناويّ: الأدب رياضة النّفوسِ ومحاسنُ الأخلاقِ، ويقع على كلّ رياضةٍ محمودة يتخرّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل. وقيل: هو عبارة عن معرفةِ ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ، وبعبارةٍ أخرى: الوقوف مع المستحسناتِ، أي: استعمال ما يُحْمد قولًا وفعلًا، مثل تعظيم من فوقك، والرّفق بمن دونك، فكلُّ رياضةٍ محمودة يتَخَرَّج بهَا الْإِنْسَان فِي فَضِيلَة من الْفَضَائِل فَإِنَّهَا يَقع عَلَيْهَا الْأَدَب[٢].

## تطبيق الصفة من حياة النبي ﷺ في (الأدب):

### المثال الأول:

حديثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رضي الله عنه – قَالَ: «إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، لَتَأْخذ بيد رسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ»[٣] فإذا

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، مقاييس اللغة لأحمد أبو الحسين الرازي المتوفى سنة (٣٩٥هـ).

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ). (ص :٦٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب/ باب الكبر (٨/٢٠/٦٠٧٢).

كان ﷺ مع الأمة هكذا فكيف هو مع الغير؟ وفقنا الله لاتّباعِه وطَبّعنا بطبَاعه، كيف لا وقد قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾. (١)

وفي الحديثِ دَلِيلٌ على مزِيدِ تواضعِه وبراءتِه من جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْكبرِ ﷺ، وَفِيه أَنْوَاعٌ من الْمُبَالغَةِ من جِهَة أَنّه ذكر الْمَرْأَة لَا الرجل، وَالْأمة لَا الْحرَّة، وعمّمَ بِلَفْظ الْإِمَاء، أَيّ أمةٍ كَانَت، وَبِقَوْلِهِ: "حَيْثُ شَاءَت" من الْأَمْكِنَة وَعبّر عَنهُ بِالْأَخْذِ بِالْيَد الَّذِي هُوَ غَايَة التَّصَرُّف وَنَحْوه(٢) ففي قوله: (فتنطلق به حيث شاءت) فيه مزيد تواضعه من وجوه:

- الأول: أنَّها أمةٌ وليست من وجوه الناس.

- الثاني: أنَّها تأخذُ بيدِه، وذلكَ يدلُّ على مزيدِ الانقياد.

- الثالث: أنَّها تذهب به لحاجتها أيّ مكانٍ كان قريبا أوبعيدًا. ففيه منه ﷺ التحريض على ذلك والحث على سلوكه – صلى الله عليه وسلم. ففي الحديثِ: حثٌّ على التواضعِ وخفضِ الجناحِ للمؤمنين، ولنا فيه ﷺ الأسوة بالتحفظ مع الجلساء وعدم التكبرعليهم حتى نكسبَ قلوبَهم، وبهذا الأُسلوبِ والتواضع ولين الجانب دخل الرسول ﷺ إلى شغاف قلوبِ النّاسِ من حولِه.

(١) سورة آل عمران، آية رقم (١٥٩).

(٢) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري (١٤١/٢٢ نصا). المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ).

**المثال الثاني:**

ما رُوِي عن عبدِ الله بن بشر، قال: "كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا أتى بابَ قومٍ لم يستقبلْ البابَ من تلقاءِ وجهِهِ، ولكنْ من ركنِه الأيمنْ أو الأيسرْ، ويقول: «السّلام عليكم، السّلام عليكم»، وذلك أنّ الدُور لمْ يكنْ عليها يومئذ ستور". (١)

وذلك من أدبه ﷺ حيث لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ: أَيْ مُقَابِلِ وَجْهِهِ وَحِذَائِهِ لِئَلَّا يَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ، ولَكِنْ يَسْتَقْبِلُ مَعَ الِانْحِرَافِ وَالْمَيْلِ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ أَوِ الْأَيْسَرِ أَيْ مِنْ أَحَدِ جَانِبَيْهِ الْأَنْسَبِ بِالْوُقُوفِ، وَيَقُولُ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ" أَيْ أَوَّلًا، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيْ ثَانِيًا حَتَّى يتحقق السماع. (٢)

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب/ باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان (٥١٨٦/٣٤٨/٤). وأحمد في مسنده (٢١٣٧/٢٩)، وإسناده حسن فيه بقية بن الوليد قال عنه يحيى بن معين: إذا حدث عن الثقات مثل صفوان بن عمرو وغيره، فأما إذا حدث عن أولئك المجهولين فلا، وإذا كنى ولم يسم اسم الرجل فليس يساوي شيئا. وقيل ليحيى أيما أثبت بقية أو إسماعيل بن عياش؟ قال: كلاهما صالحان. وقال أبو حاتم: يكتب حديث بقية ولا يحتج به وهو أحب إلى من إسماعيل بن عياش، وقال أبو زرعة: بقية أحب إلى من إسماعيل بن عياش، ما لبقية عيب إلا كثرة روايته عن المجهولين، فأما الصدق فلا يؤتى من الصدق وإذا حدث عن الثقات فهو ثقة. وقال ابن حجر: صدوق كثير التدليس عن الضعفاء. (الجرح والتعديل لابن ابي حاتم ١٣٥/١، تقريب التهذيب ١٢٦/١).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٦٠/١٤ نصا)، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته. المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ).

إلى هذا الحدِّ من اللطفِ والدّقة بلغ حس رسول الله ﷺ بما علمه الله من ذلك الأدب الرفيع الوضيء، المشرق بنورالله ونحن اليوم مسلمون، ولكن حساسيتنا بمثل هذه الدقائق قد تبلّدتْ وغلُظَت، فلنتأدبْ بأدبِ رسولِ الله ﷺ وليكن هوانا تبعًا لما جاءَ به ﷺ.

**المثل الثالث:**

ما روي عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: «ما رأيت رجلا إلتقم أذن رسول الله ﷺ فينحّي رأسه حتّى يكون الرّجل هو الّذي ينحّي رأسه، وما رأيت رجلا أخذ بيده فترك يده، حتّى يكون الرّجل هو الّذي يدع يده»(١)ففي الحديث يقول أنسI: إنه ما رأى أحداً إلتقم أذن النبي ﷺ فيؤخر رأسه حتى يكون ذلك هو الذي يؤخر فمه، فكان النبي ﷺ يقرب رأسه والرجل يقرب فمه إلى أذنه فيبقى النبي على هذه الحال حتى يُنهي المتكلم حاجته وبُغيته، ثم يرجع الرسول ﷺ إلى هيئته من الإنتصاب الذي كان قبل إمالة الرأس من أجل المسارّة، وهذا من كمال أخلاقه ﷺ, ومعنى قوله:(وما رأيت رجلاً أخذ بيده فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده) أن النبي ﷺ ما كان يسحب يده، وإنما يبقي يده حتى يكون ذاك الرجل هو الذي ينتهي، وهذا من كمال أخلاقه عليه الصلاة والسلام (٢) ولنا فيه ﷺ الأسوة الطيبة في خفض

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب/ باب ما جاء في حسن العشرة (٤/٢٥١/٤٧٩٤). وإسناده حسن فيه مبارك بن فضالة بن عبد الرحمن البصري، قال عنه يحيى بن معين: ليس به بأس. وقال ابن عدي: وعامة أحاديثه أرجو أن تكون مستقيمة فقد احتمل من قد رمي بالضعف أكثر ما رمي مبارك بِهِ. (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣٣٩/٨، الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٢٦/٨).

(٢) شرح سنن أبو داود لعبد المحسن العباد (٥٤٥/٢٧ اختصارا).

الجناح للمؤمنين وحسن معاملة الناس وكثرة إحتمال المشاق في سبيل تطييب خاطرهم وعدم إحراجهم.

## الصفة الثالثة: (الإرشاد)

### الإرشاد لغة:

مصدرُ أرشده إلى الشّيء بمعنى دلّه عليه، وهو مأخوذٌ من مادّة (ر ش د) الّتي تدلّ على استقامةِ الطّريقِ، والمراشد مقاصد الطّريق، الرّشد والرّشد والرّشاد: نقيض الغيّ. رشد الإنسان (بالفتح) يرشد رشدا (بالضّمّ)، ورشد (بالكسر)، يرشد رشدًا ورشادا فهو راشد ورشيد إذا أصاب وجه الأمر والطّريق والرّاشد اسم فاعل من رشد يرشد رشدا. والرّاشد: المستقيمُ على طريقِ الحقّ. وأرشده الله، وأرشده إلى الأمر، ورشّده: هداه، واسترشده: طلب منه الرّشد. ويقال: استرشد فلان لأمره إذا اهتدى له، والرّشدى: اسم للرّشاد، وفي أسماء الله تعالى الرّشيد؛ لأنّه يرشد الخلق إلى مصالحهم، أي يهديهم ويدلّهم عليها.[1]

### واصطلاحًا:

قال ابن الأثير: إرشاد الضّالّ هدايتُه الطّريقَ المستقيم.[2] والرشد: حسنُ التصرّفِ في الأمرِ حِسًا أو معنى، دِينا أو دُنيا، ويستعمل استعمالَ الهداية.[1]

---

(١) لسان العرب (١٧٥/٣)، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ). مقاييس اللغة

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، (٢٢٥/٢) نصًا.

**التطبيقُ العَملِي من رسولِ الله ﷺ لصفة الإرشاد:**

**المثال الأول:** "ما رواه أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: بينما نحن في المسجدِ مع رسولِ الله ﷺ إذْ جاءَ أعرابيٌّ فقامَ يبولُ في المسجدِ، فقالَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ: مَهْ مَهْ(٢)، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزرموه(٣)، دعوه» فتركوه حتّى بالَ، ثمّ إنّ رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إنّ هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنّما هي لذكر الله – عزّ وجلّ – والصّلاة وقراءة القرآن»، أو كما قال رسول الله ﷺ قال: فأمر رجلًا مِنَ القومِ، فجاء بدلوٍ من ماء فشنّه عليه."(٤)

==

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، (١٧٧/١).

(٢) مَهْ مَهْ: اسْمُ فِعْلٍ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّكُونِ مَعْنَاهُ: اُكْفُفْ. وهِيَ كَلِمَةُ زَجْرٍ أَصْلُهَا مَا هَذَا، ثُمَّ حُذِفَ تَخْفِيفًا، وَتُقَالُ مُكَرَّرَةً وَمُفْرَدَةً. وَمِثْلُهُ بِهِ بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ، وَقَالَ يَعْقُوبُ: هِيَ لِتَعْظِيمِ الْأَمْرِ كَبَخٍ بَخٍ. (لسان العرب ٥١١/١٣) نصًّا).

(٣) قوله: لا تزرموه: لا تقطعوا عليه، يقال: ازْرَأَمَّ: انْقَطَعَ. وَكُلُّ مَا انْقَطَعَ فَقَدْ زَرِم. (لسان العرب ٢٦٣/١٢، تاج العروس ٣٠٩/٢٣نصا). تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب/ باب (الرفق في الأمر كله) (٦٠٢٥/١٢/٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب الطهارة/ بَابُ (وُجُوبِ غُسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ إِذَا حَصَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ تَطْهُرُ بِالْمَاءِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى حَفْرِهَا)، فهو متفق عليه. (٢٣٦/١/ ٢٨٤).

ففـي هـذا الحـديثِ إبانَـةٌ عَـنْ جَمِيـلِ أَخْـلَاقِ الرَّسُـولِ ﷺ وَلُطْفِـهِ وَرِفْقِـهِ بِالْجَاهِلِ. فَإِنَّهُ إذَا زُجِرَ – مَعَ جَهْلِهِ الَّذِي ظَهَرَ مِنْهُ – قَدْ يُؤَدِّي إلَى تَنْجِيسِ مَكَان آخَرَ مِنْ الْمَسْجِدِ بِتَرْشِيشِ الْبَوْلِ، بِخِلَافِ مَا إذَا تُرِكَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ الْبَوْلِ، فَإِنَّ الرَّشَاشَ لَا يَنْتَشِر[1]، وكذلك دفع ﷺ أعظم المفسدتين بِاحْتِمَال أيسرِهِما، وحصل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما، فَإِنَّ الْبَوْلَ فِيهِ مفْسدَةٌ، وقطعه على البائلِ مفْسدَةٌ أعظمُ مِنْهَا، فَدفع أعظمها بأيسرالمفسدتين، وتنزيه الْمَسْجِد عَنهُ مصلحَة وَترك البائل إِلَى الْفَرَاغ مصلحَة أعظم مِنْهَا، فَحصل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما، فكان منه ﷺ مُرَاعَاة التَّيْسِير على الْجَاهِل والتألف للقلوبِ، وَفِي ذلك بيان رَأْفَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ وَحُسْنِ خُلُقِهِ وَتَعْظِيمِ الْمَسْجِدِ وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الْأَقْذَارِ.[2]

فهو ﷺ صاحبُ الخُلُقِ الكريمِ، الذي بعث بالتبشير والتيسير، وفيه دليلٌ على بعد نظرِهِ ﷺ ومعرفته بطبائعِ النّاسِ وحسن إرشاده وتوجيهه.

وفي قوله – عليه الصلاة والسلام: (إنّما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسّرين)، بيانٌ منه ﷺ أنَّ الشدةَ والعنفَ يؤدّيان إلى مفاسد، والصحابة رضوان الله عليهم حرصوا على الخيرِ، وحرصوا على تنزيه المسجدِ فبادروا بالإنكارعليه، لكنَّ النبيَّ ﷺ نظرَ إلى العاقبةِ، وسلك مسلكَ الحكمَةِ في الإرشاد بمنعه ﷺ ما مِن شأنِه أنْ يثبط الهمم ويفت في عضد المجتمع المسلم، كما أنَّ فيه حُسنَ تقدير احتمالات ردودِ الفعلِ السلبيّة عند إرادة القيام بعملٍ ما، واتخاذ القرار المناسب وفق ما يترجح ويغلب على الظن

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد (١٢٢/١مختصرا).

(٢) عمدةُ القارئِ، شرح صحيح البخاري (١٣١/٣ نصًّا).

منها حتى لو أدى ذلك إلى التنازل عن تحقيق مصالح أو مكاسب، لكنَّها لا تقارن بحجم المفسدةِ المترتبةِ على الفعل. ويستفادُ من ذلك أهمية المرونة في التعامل مع النّاسِ والتدرب المستمر على ضبط النفس والتحلي بالصبر والتحكم في الانفعالات والعواطف، ومعرفة الواقع والبيئة المحيطة بالإنسان بما في ذلك الأفكار والاتجاهات والمدارس الفكرية والفئات وتطوير مهارة قراءة أفكارالآخرين ووجوههم وحركاتهم وإشاراتهم، وهوعِلمٌ أو فن أصبحت له مدارسُه ومقالاتُه وكتبُه التي يمكن الإفادة منها، وهذا يوجب على الدعاة – اليوم وفي كل زمان – الاقتداء بحسن إرشاده ﷺ في حسن عرض دعوتهم للناس، وتزيين الحق والخير في قلوبهم، وتقبيح الباطل والشر في أنظارهم، ومخاطبة العقل والقلب معًا، وعدم الاكتفاء بمخاطبة واحدٍ منهما دون الآخر

ولا سيما مع تفاقم الشر وتزيينه من قِبَل شياطين الجن والإنس، واستشراء الشبهات حتى كادت أنْ تزاحمَ الحقَّ عند الكثيرمنهم. ما الذي نتصوره من حال هذا الأعرابي الذي دعاه الرسول ﷺ إلى تعظيم المساجدِ بهذا الأُسلوبِ الليّن السهل؟ إنّك لن تتصورَ إلَّا أنَّ هذا الأعرابيَّ سيقبل وسيطمئن وسيرتاح، وسيجد الفرقَ بين ما قام به الصحابة من الزجر، وما قام به النبيُّ ﷺ من التعليمِ الهادئ الذي ينشرح فيه الصدر ويطمئن به القلب.

**<u>المثال الثاني:</u>**

ما رُوي عن معاوية بن الحكم السّلميّ، قال: "بينا أنا أصلّي مع رسولِ الله ﷺ إذْ عطسَ رجلٌ مِنَ القومِ، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم

فقلت: واثكل أمّياه، ما شأنُكم تنظرون إليّ؟[١]، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلمّا رأيتهم يصمّتونني، لكنّي سكتّ، فلمّا صلّى رسول الله ﷺ فبِأبي هو وأمّي، ما رأيت معلّمًا قبلَه ولا بعدَه أحسنَ تعليمًا منه، فوالله ما كهرني[٢] ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إنّ هذه الصّلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلامِ النّاسِ، إنّما هو التّسبيح والتّكبير وقراءة القرآن».[٣]

لقد أُوتي النبيُّ ﷺ الكمالَ البشريَّ، وعُصمِ مِنَ الخطأ الذي يقدح في تبليغه للدعوة «فأيُّ عاقلٍ حريص على مرضاة ربِّه يخيَّر بين الاقتداء بالمعصوم، الذي يكفل له السيرعلى صراط الله المستقيم، وبين الاقتداءِ بمَن لا يُؤمَن عثاره، ولا تضمن استقامته على الحقِ ونجاته..»، لقد أعطي النبي ﷺ مع أمته علمًا لا يدانيه فيه أحدٌ مِنَ البشر ﷺ {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}.[٤]

وهَكَذَا كَانَتْ أخلاقُه ﷺ وأَثَرها فِي نفوسِ أَصْحَابِه الَّذين سادوا مِن بعدِه الدُّنْيَا بأخلاقهم، وَذَلِكَ عِنْدَمَا اقتدوا بِهِ وَسَارُوا على أَثَره. وقد مرَّ ﷺ بمختلفِ

---

(١) (وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ): بِكَسْرِ الْمِيمِ، وَالثُّكْلُ بِضَمٍّ وَسُكُونٍ وَبِفَتْحِهِمَا: فِقْدَانُ الْمَرْأَةِ وَلَدَهَا، وَالْمَعنَى: وَافَقْدَهَا لِي فَإِنِّي هَلَكْتُ (مَا شَأْنُكُمْ)، (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٧٧٥/٢ مختصرًا).

(٢) قوله: (فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي)، أَيْ: مَا قَهَرَنِي وَزَجَرَنِي، قَالَ الطِّيبِيُّ: الْكَهْرُ وَالْقَهْرُ وَالنَّهْرُ أَخَوَاتٌ، وَفِي النِّهَايَةِ يُقَالُ: كَهَرَهُ إِذَا زَبَرَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ بِوَجْهٍ عَبُوسٍ (وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي): أَرَادَ نَفْيَ أَنْوَاعِ الزَّجْرِ وَالْعُنْفِ. (٢١٢/٤ مختصرا).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة/ بَابُ تَحرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ. (٥٣٧/٣٨١/١)

(٤) سورة النساء، آية رقم (١١٣).

الظروفِ والأحوال التي يمكنُ أنْ يمر بها معلم أو مربٍّ في أيِّ زمانٍ ومكان؛ فما من حالة يمر بها المربي أو المعلم إلا ويجدها نفسها أو مثلها أو شبهها أو قريبًا منها في حياة النبي ﷺ. ففي هذا الحديث بيان لعظيم إرشاده ﷺ حيث تتأكد الحاجة إلى الرفقِ والرحْمةِ عند وقوع الخطأ غير المتعمد؛ لأنَّ النفوسَ – أحيانًا – قد يستثيرها الخطأ فتنسى التعامل معه بالرحمة والرفق، وتميل بقوةٍ إلى الرّدْعِ والتأديبِ؛ وعالج الموقف الطارئ بأحسن علاج وأكمل منهج، ومن هنا نجد أنَّ الدعوةَ إلى اللهِ يجبُ أنْ تكونَ بالحكمة كما أمر الله عز وجل، فكان ﷺ مُربيًا لغيرِه بما يتخلق به مِنَ الأخلاقِ، وبما يدعو إليه من دين الله – عز وجل – بحيث يخاطب كلَّ إنسانٍ بما يليق بحاله، وإذا سلكنا هذا الطريقَ حصل لنا خيرٌ كثيرٌ كما قال ربُّنا عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

**ويستفادُ من الوسائلِ والأساليبِ التي سلَكها المصطفى ﷺ في التعاملِ مع أخطاءِ الناسِ:**

تركُ التكلُّفِ والتعسّفِ في إثباتِ الخطأ، وتجنّبُ الإصرارِعلى انتزاعِ الاعترافِ من المخطئ بخطئِه، وإعطاءُ الوقتِ الكافي لتصحيحِ الخطأ خصوصًا لمن درجَ عليه واعتادَه زمانًا طويلًا من عمرِه، هذا مع المتابعة والاستمرار في التنبيه والتصحيح. تجنّبُ إشعارِالمخطئ بأنَّه خصمٌ، ومراعاة أنَّ كسبَ الأشخاصِ أهمُّ من كسبِ المواقفِ، والهدوءُ في التعاملِ مع المخطئ، وإعانةُ المسْلمِ على تصحيحِ خطئِه، كما كان – صلوات الله وسلامه عليه – يقدّر ظروفَ الناسِ، ويراعي أحوالَهم، ويعذُرهم بجهلِهم،

(١) سورة البقرة، آية رقم (٢٦٩).

ويتلطف في تصحيح أخطائهم، ويترفق في تعليمهم الصواب، ولا شكَّ أنَّ ذلك يملأ قلبَ المنصوحِ حبًّا للرسالةِ وصاحِبها، وحرصًا على حفظ الواقعة والتوجيه وتبليغهما، كما يجعل قلوب الحاضرين المعجبة بهذا التصرف والتوجيه الرقيق مهيَّأةً لحفظِ الواقعة بكافة ملابساتها، وقد ظهر أثرُ ذلك في حياة ونفس معاوية؛ لأنَّ النفوسَ مجبولةٌ على حبِّ مَنْ أحسنَ إليها، ولهذا قال معاوية: "ما رأيْتُ معلّمًا قبلَه ولا بعدَه أحسن تعليمًا منه"، كما أبعد ﷺ الحاجز الضبابي عن عين المخطئِ، فالمخطئُ أحيانًا لا يشعرُ بأنَّه مخطئ، وإذا كان بهذه الحالة وتلك الصفة فمن الصعب أنْ توجّه له لومًا مباشرًا وعتابًا قاسيًا، وهو يرى أنَّه مصيب...

إذًا لا بُدَّ أنْ يشعرَ أنّه مخطئ أوّلًا حتى يبحثَ هو عَنِ الصّوابِ؛ لذا لا بُدَّ أنْ نزيلَ الغشاوة عن عينه ليبصرَ الخطأ.. فهو بذلك قدوةٌ مطلقةٌ لكلِّ أحدٍ في الدين. وَهَكَذَا يتَبَيَّن لنا أنَّ منهَجَه ﷺ فِي التربيةِ وتقويمِ الْأَخْلَاقِ أكملُ مَنْهَج وأقوم سَبِيل يؤتي ثماره.

## الصّفةُ الرّابعةُ: (الإصلاحُ)

الإصلاح: الفعلُ منه: أصلحَ يُصْلح، وهوَ مأخوذٌ من مادّة (ص ل ح) الّتي تدلّ على «خلاف الفساد» يقال: صلح الشّيء يصلح صلاحًا، ويقال أيضًا: صلح (بفتح اللّام) والمصدر صلوح، والإصلاح: نقيضُ الإفسادِ.

وأصلح الشّيء بعد فسادِه: أقامه. وأصلح الدّابّة: أحسن إليها فصلحت. والصّلح: تصالح القوم بينهم. والصّلح: السّلم.[١]

واصطلاحًا: مأخوذ من الصّلح: وهو عقد يرفع النّزاع، وهو بمعنى المصالحة، وهو المسالمة خلاف المخاصمة، وأصله من الصّلاح وهو ضدّ الفساد[٢].

والصلح وردَ في القرآنِ الكريمِ بمعنيَيْن:

أحدهما: يكون بمعنى إصلاحِ الفرقة بين المسلمين، وإصلاحها يكون بإزالة أسباب الخصام، أو بالتّسامح والعفو، أو بالتّراضي على وجه من الوجوه، وبهذا الإصلاح تذهب ذات البين وتنحلّ عقدة الفرقة. قال تعالى: (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[٣].

وثانيهما: إصلاحُ المجتمعات: يكون برأب ما تصدّع منها، وإزالة الفساد الّذي دبّ إليها بسببِ الخصام والتّنازع على أمرٍ من أمور الدّنيا. قال

(١) لسان العرب لابن منظور (٢/ ٥١٦، ٥١٧). مختار الصحاح (٣٦٧)، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ). ومقاييس اللغة (٣/ ٣٠٣) نصًّا.

(٢) التعريفات للجرجاني (١/١٣٤). المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) كاشف اصطلاحات الفنون (٢/١٠٩٥) نصًّا. محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ).

(٣) سورة الأنفال، آية رقم (١).

تعالى: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[١]

وعن أبي الدّرداء – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصّيام والصّلاة والصّدقة؟ قالوا: بلى، قال: صلاح ذات البين، فإنّ فساد ذات البين هي الحالقة»[٢]، وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «كلّ سُلامى من النّاس عليه صدقة كلّ يوم تطلع فيه الشّمس يعدل بين النّاس صدقة».[٣]

**تطبيق الرسول ﷺ لخلق الإصلاح:**

**المثال الأول:** ما روي عن كعب بن مالك أنّه تقاضى ابن أبي حدرد دينا كان له عليه في عهد رسول الله ﷺ في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتّى سمعَها رسول الله ﷺ وهو في بيته فخرج رسول الله ﷺ إليهما حتّى كشف سجف حجرته فنادى كعب بن مالك، فقال: «يا كعب» فقال: لبّيك يا

(١) سورة الأعراف، آية رقم (٥٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب (صفة القيامة، باب ما جاء في صفة أواني الحوض)، (٢٥٠٨/٢٤٤/٤). وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الصلح/ بَابُ فَضْلِ الإِصْلاَحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالعَدْلِ بَيْنَهُمْ) (٢٧٩٧/١٨٧/٣). ومسلم في صحيحه كتاب (الزكاة/ بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ) (١٠٠٩/٦٩٩/٢).

رسول الله، فأشار بيده أن ضع الشّطر. فقال كعب: قد فعلت يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «قم فاقضِه».[١]

هذا الَّذِي أمرَ بِهِ رَسُول الله ﷺ في هذا الحديث على سَبِيل المشورة، وَهَذَا يدلُّ على أَنَّ للْحَاكِم أَنْ يُرَاوِدَ الْخَصْمَيْنِ على الصُّلْح إذا رأى وَجه المصلحَة، كَمَا يفصل الحكم بَينهمَا[٢]. وهذا الحديث أصل لما تلهج العامة به من قولها: خير الصلح الشطر، ولا صلح إلا بوزن. وَهُوَ أَيْ الصُّلْحُ مِنْ حَيْثُ ذَاتهُ مَنْدُوبٌ إلَيْهِ، وَقَدْ يَعْرِضُ وُجُوبُهُ عِنْدَ تَعْيِينِ مَصْلَحَةٍ وَحُرْمَتِهِ وَكَرَاهَتِهِ لِاسْتِلْزَامِهِ مَفْسَدَةً وَاجِبَةَ الدَّرْءِ. وإنما ينبغي للإمام أنْ يندبَ المتخاصمين إلى الصلح ويديرهما عليه ما لم يتبين له أنَّ الحقَّ لأحدِهِما، فإذا تبيّن له ذلك، لم يتأن في الحكم له رجاء أن يصالحا.[٣]

والشاهد: أنّه ﷺ أصلح ذاتَ بينهما، وأمرَ كلَّ واحدٍ منهما بالإحسان إلى صاحبِه برفقٍ ورأفةٍ من غيرِ عنف، فنتعلم من ذلك كيف نصلحُ بين النّاسِ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾[٤] ففي الحديث: فَضِيلَةُ الصُّلْحِ وَحُسْنُ التَّوَسُّطِ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمَيْنِ. قال الله تعالى: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ

(١) أخرجه البخاريُّ في صحيحه (كتاب الصلاة/ بَابُ التَّقَاضِي وَالمُلاَزَمَةِ فِي المَسْجِدِ)، (٤٥٧/٩٩/١). ومسلم في صحيحه، كتاب (المساقاة/ بَابُ اسْتِحْبَابِ الْوَضْعِ مِنَ الدَّيْنِ) (١٥٥٨/١١٩٢/١).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١٢١/٢) نصا. المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ).

(٣) المقدمات الممهدات لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٥٢٠هـ) نصا.

(٤) سورة الحجرات، آية رقم (١٠).

شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَاۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾[١]. وَعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ أَقْبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ فَقَالَ: «اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ».[٢] وسنجني من ذلك: تخفيف المشكلات، عدم إطالة وتعقيد المشكلات، سريان روح التفاهم بين المتخاصمين، وإيجاد سبل للتعاون بين أبناء المجتمع، والقضاء على كثير من المشكلات والمنكرات.

**المثال الثاني:**

ما روي عن سهل بن سعد، أنّ أهلَ قباء اقتتلوا حتّى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم»[٣] في هذا الحديث: خرج النبي ﷺ مع أصحابه للإصلاح بين أهل قباء عندما تفاقم أمرهم واشتد تنازعهم، حتى اضطربوا بالجريد والنعال والأيدي، فأنزل الله فيهم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾[٤] وفيه: ما كان عليه النبى ﷺ من التواضع والخضوع والحرص على قطع الخلاف وحسم دواعي الفرقة عن

---

(١) سورة النساء، آية رقم (٨٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: (الزكاة/ باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها) (١٤٣٢/١١٣/٢). ومسلم في صحيحه، كتاب (البر والصلة والآداب/ باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام) (٢٦٢٧/٢٠٢٦/٤). فهو متفق عليه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الصلح/ بَابُ قَوْلِ الإِمَامِ لِأَصْحَابِهِ: اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ)، (٢٦٩٣/١٨٣/٢).

(٤) الحجرات، آية (٩).

أمته ﷺ[1]، وحث منه ﷺ على فضل الْإِصْلَاح بَين النَّاس وحسم مَادَّة الْفِتْنَة بَينهم وجمعهم على كلمةٍ وَاحِدَة، حيث توجه ﷺ بِنَفسِهِ إِلَى بعض رَعيته للإصلاح، وَقدم ذَلِك على مصلحَة الْإِمَامَة بِنَفسِهِ؛ لِأَنَّ فِي ذَلِك دفع الْمفْسدَة وهوأولى من الْإِمَامَة بِنَفسِهِ، ويلتحق بذلك توجه الْحَاكِم لسَمَاع دَعْوَى بعض الْخُصُوم إِذا علم أَنّ فِيهِ مصلحَةً.[2] وقوله تعالى: (﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾[3]: لفظ عام مطلق يقتضي أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الإطلاق.

**ومِن ثمراتِ الصّلحِ بين المسلمين:**

إنَّ فوائدَ الصلحِ كثيرةٌ، فإنَّه يثمرُ إحلالَ الأُلفة مكانَ الفرقة، واستئصال داء النزاع قبل أنْ يستفحلَ، وحقن الدماء التي تراق، وتوفير الأموال التي تنفق للمحامين بالحق وبالباطل، والحماية من شهادة الزور، وتجنب المشاجرات والاعتداءات على الحقوق والنفوس، وعدم الإصلاح يؤدّي إلى استشراء الفساد وقسوة القلوب، وضياع القيم الإنسانيّة الرّفيعة والإصلاح منبعه النّفوس السّامية، ولذا كان النّبيّ ﷺ يخرج بنفسه ويسعى للإصلاح بين النّاس.

فعلى كلِّ مسلمٍ أن يتأسّى بصاحبِ الخلق الكريم ﷺ، وأنْ يكونَ دائمًا مشاركًا في هذه الحياة بنفع إخوانه مسابقا في ميادين الإصلاح والعمل المثمر مسارعًا إلى ما يؤلف القلوب ويرفع مستوى أمته ليسمو بين الورى

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨٤/٨ نصا).

(٢) عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري (١١٢/٥ نصًّا).

(٣) سورة النساء، آية رقم (١٢٨).

بحسن الثناء ويسعد في آخرتِه عند اللهِ؛ إنَّ الله لا يضيع أجرَ مَنْ أحسنَ عملًا.

## الصّفةُ الخامسةُ: (الألفة)

### الألفةُ لغةً:

هي الاسمُ من الائتلاف، وكلاهُما مأخوذٌ من مادّة (أ ل ف) الّتي تدلّ على انضمام الشّيء إلى الشّيء، والأشياء الكثيرة أيضًا، ومِن ذلك الألف؛ لأنّه اجتماع المئين، قال الخليل: ألفت الشّيء آلفه، والألفة مصدر الائتلاف، وإلفك وأليفك: الّذي تألفه، وكلّ شيء ضممت بعضه إلى بعض فقد ألّفته تأليفا(١).

**واصطلاحًا:** الألفة والإلف: اجتماع مع التئام ومحبّة، وقال الجرجانيّ: الألفة اتّفاقُ الآراءِ في المعاونة على تدبير المعاش. وقال ابنُ الأثيرِ: التَّأَلُّف الْمُدَارَاةُ وَالْإِينَاسُ لِيَثْبُتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ رَغْبة فِيمَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَالِ(٢).

### تطبيقُ الرّسولِ ﷺ العَملي لصفةِ التّألُّفِ:

### المثال الأول:

ما روي عن أنسٍ بن مالك – رضي الله عنه – أنّ ناسًا مِنَ الأنصارِ قالوا يوم حنين: حين أفاءَ الله على رسوله أموال هوازن فطفق رسول الله ﷺ يعطي رجالًا من قريش المائة من الإبل كلّ رجل، فقالوا: يغفر الله لرسول

---

(١) مقاييس اللغة مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (١/ ١٣١)، المفردات للراغب (٢٠) مختصرًا.

(٢) النهاية لابن الأثير (١/ ٦٠)، التعريفات للجرجاني (٣٥) مختصرًا.

الله ﷺ يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم. قال أنس: فحُدِّث رسول الله ﷺ بمقالتهم فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبّة من أدم، ولم يدع أحدا غيرهم، فلمّا اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال: «ما حديث بلغني عنكم؟» فقالت الأنصار: أمّا ذوو رأينا فلم يقولوا شيئا، وأمّا ناس حديثة أسنانهم فقالوا: كذا وكذا للّذي قالوا. فقال النّبيّ ﷺ: «إنّي لأعطي رجالا حدثاء عهد بكفر أتألّفهم – أو قال: أستألفهم– أفلا ترضون أن يذهب النّاس بالأموال وترجعون برسول الله إلى رحالكم، فوالله لما تنقلبون به خير ممّا ينقلبون به». قالوا: أجل يا رسول الله! قد رضينا. فقال لهم رسول الله ﷺ «إنّكم ستجدون بعدي أثرة شديدة[1] فاصبروا حتّى تلقوا الله ورسوله فإنّي فرطكم على الحوض»[2].

ففي الحديث: استئلافُ النّاسِ بالعطاء الجزيل لما في ذلك من المنفعة للمسلمين والدفاع عنهم[3]، وفي فتح الباري: قُسِمَتْ الغنائم عَلَى مَنْ لَمْ يَتَمَكَّنِ الْإِيمَانُ مِنْ قَلْبِهِ لِمَا بَقِيَ فِيهِ مِنَ الطَّبْعِ الْبَشَرِيِّ فِي مَحَبَّةِ الْمَالِ فَقَسَمَهُ فِيهِمْ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُهُمْ وَتَجْتَمِعَ عَلَى مَحَبَّتِهِ؛ لِأَنَّهَا جُبِلَتْ عَلَى حُبِّ مَنْ

---

(١) الأَثْرَة – بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالثَّاءِ – الاِسْمُ مِنْ آثَرَ يُوثِرُ إِيثَارًا إِذَا أعْطى، أَرَادَ أَنَّه يُسْتَأْثَرُعَلَيْكُمْ فيُفضَّل غيرُكم فِي نَصيبه مِنَ الفَيْء .(النهاية في غريب الحديث والآثر لابن الأثير ١/٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فرض الخمس/ بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الخُمُسِ وَنَحْوِهِ (٣١٤٧/٩٤/٤). ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة/ بَابُ إِعطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ (١٠٥٩/٧٣٣/٣). فهو متفق عليه.

(٣) صحيح البخاري لابن بطال (٣٢٣/٥) نصًّا، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ).

أَحْسَنَ إِلَيْهَا، وَمَنَعَ أَهْلَ الْجِهَادِ مِنْ أَكَابِرِ الْمُهَاجِرِينَ وَرُؤَسَاءِ الْأَنْصَارِ مَعَ ظُهُورِ اسْتِحْقَاقِهِمْ لِجَمِيعِهَا؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَسمَ ذَلِكَ فِيهِمْ لَكَانَ مَقْصُورًا عَلَيْهِمْ بِخِلَافِ قِسْمَتِهِ عَلَى الْمُؤَلَّفَةِ لِأَنَّ فِيهِ اسْتِجْلَابَ قُلُوبِ أَتْبَاعِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْضَوْنَ إِذَا رَضِيَ رَئِيسُهُمْ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْعَطَاءُ سَبَبًا لِدُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ وَلِتَقْوِيَةِ قَلْبِ مَنْ دَخَلَ فِيهِ قَبْلُ تَبِعَهُمْ مَنْ دُونَهُمْ فِي الدُّخُولِ فَكَانَ فِي ذَلِكَ عَظِيمُ الْمَصْلَحَةِ وَلِذَلِكَ لَمْ يَقْسِمْ فِيهِمْ مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ مَكَّةَ عِنْدَ فَتْحِهَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا مَعَ احْتِيَاجِ الْجُيُوشِ إِلَى الْمَالِ الَّذِي يُعِينُهُمْ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ فَحَرَّكَ اللَّهُ قُلُوبَ الْمُشْرِكِينَ لِغَزْوِهِمْ فَرَأَى كَثِيرُهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ فَكَانُوا غَنِيمَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَلَوْ لَمْ يَقْذِفِ اللَّهُ فِي قَلْبِ رَئِيسِهِمْ أَنَّ سَوْقَهُ مَعَهُ هُوَ الصَّوَابُ لَكَانَ الرَّأْيُ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ دُرَيْدٌ فَخَالَفَهُ فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِتَصْيِيرِهِمْ غَنِيمَةً لِلْمُسْلِمِينَ ثُمَّ اقْتَضَتْ تِلْكَ الْحِكْمَةُ أَنْ تُقْسَمَ تِلْكَ الْغَنَائِمُ فِي الْمُؤَلَّفَةِ وَيُوَكِّلُ مَنْ قَلْبُهُ مُمْتَلِئٌ بِالْإِيمَانِ إِلَى إِيمَانِهِ ثُمَّ كَانَ مِنْ تَمَامِ التَّأْلِيفِ رَدُّ مَنْ سُبِيَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ فَانْشَرَحَتْ صُدُورُهُمْ لِلْإِسْلَامِ فَدَخَلُوا طَائِعِينَ رَاغِبِينَ وَجَبَرَ ذَلِكَ قُلُوبَ أَهْلِ مَكَّةَ بِمَا نَالَهُمْ مِنَ النَّصْرِ وَالْغَنِيمَةِ عَمَّا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْكَسْرِ وَالرُّعْبِ فَصَرَفَ عَنْهُمْ شَرَّ مَنْ كَانَ يُجَاوِرُهُمْ مِنْ أَشَدِّ الْعَرَبِ مِنْ هَوَازِنَ وَثَقِيفٍ بِمَا وَقَعَ بِهِمْ مِنَ الْكَسْرَةِ وَبِمَا قَيَّضَ لَهُمْ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ يُطِيقُونَ مُقَاوَمَةَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ مَعَ شِدَّتِهَا وَكَثْرَتِهَا(١).

وروي عن عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِمَالٍ – أَوْ سَبْيٍ – فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رِجَالًا وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ

(١) فتح الباري لابن حجر (٨/٤٩). المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.

أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ» فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ)[1].ومن هنا ندرك أن من وسائل الدعوة التأليف بالمال, فقد تألف النبي ﷺ في هذه الأحاديث قريشا بالمال فأعطى رجالا منهم المائة من الإبل، وقال ﷺ: «إني أعطي قريشا أتألفهم؛ لأنّهم حديث عهد بكفر»، وهذا يؤكد أهمية التأليف بالمال في الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، كما أنَّ مِن وسائل الدعوة التأليف بالجاه، ولهذا قال ﷺ فيه للأنصار: «إني لأعطي رجالًا حديث عهدهم بكفر، أما ترضون أنْ يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول الله ﷺ فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به؛ " قالوا: بلى يا رسول الله، قد رضينا»، وقال ﷺ لهم: «لو سلك الناس واديا أو شعبا لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم»[2]، وهذا يؤكد التأليف بالجاه، فقد تألفهم ﷺ بجاهه دون مال. كما أنّ من أساليب الدعوة أيضا التأليف بطيب الكلام، فلا شكَّ أنَّ طيب الكلام والتلطف فيه من أساليب الدعوة النافعة؛ ولهذا اسْتَخدمه النبي ﷺ فقال في هذا الحديث للأنصار: «أما ترضون أنْ يذهبَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الجمعة/ باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد)، (٩٣٢/١٠/٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (المناقب/ باب مناقب الأنصار)، (٣٧٧٨/٣٠/٥). ومسلم في صحيحه، كتاب (الزكاة/ بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ)، (١٠٥٩/٧٣٥/٢) فهو متفق عليه.

الناس بالأموال وترجعون برسول الله ﷺ»، وهذا الكلام الطيب يظهر فيه التلطف، واللين الحكيم .

## المثال الثاني لتطبيق رسول الله ﷺ لصفة الألفة:

"عن عبدِ الرّحمن بنِ عوف – رضي الله عنه – عن النّبيّ ﷺ قال: شهدت حلف المطيّبين[١] مع عمومتي وأنا غلام، فما أحبُّ أنّ لي حمرَ

---

(١) حلف المطيبين: هو أنَّ هَاشِمًا وَعَبْدَ شَمْسٍ وَالْمُطَّلِبَ وَنَوْفَلًا بَنِي عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ رَأَوْا أَنَّهُمْ أَحَقُّ بالْحِجَابَةِ وَالسِّقَايَةِ وَالرِّفَادَةِ وَالنَّدْوَةِ وَاللِّوَاءِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ لِشَرَفِهِمْ عَلَيْهِمْ وَلِفَضْلِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ، وَأَرَادُوا أَخْذَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَتَفَرَّقَتْ عِنْدَ ذَلِكَ قُرَيْشٌ، كَانَتْ طَائِفَةٌ مَعَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَطَائِفَةٌ مَعَ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُمْ مَا كَانَ قُصَيٌّ جَعَلَهُ لَهُمْ؛ إِذْ كَانَ أَمْرُ قُصَيٍّ فِيهِمْ شَرْعًا مُتَّبَعًا معرفَةً مِنْهُمْ لِفَضْلِهِ تَيَمُّنًا بِأَمْرِهِ وَكَانَ صَاحِبُ أَمْرِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ الَّذِي قَامَ فِي الْمَنْعِ عَنْهُمْ عَامِرُ بْنُ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ، فَاجْتَمَعَ بَنُو أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ، وَبَنُو زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ، وَبَنُو تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ، وَبَنُو الْحَارِثِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ مَعَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَاجْتَمَعَ بَنُو مَخْزُومٍ، وَبَنُو سَهْمٍ، وَبَنُو جُمَحٍ، وَبَنُو عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ مَعَ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَخَرَجَتْ عَامِرُ بْنُ لُؤَيٍّ وَمُحَارِبُ بْنُ فِهْرٍ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمْ يَكُونُوا مَعَ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ، وَعَقَدَ كُلُّ طَائِفَةٍ بَيْنَهُمْ حِلْفًا مُؤَكَّدًا عَلَى أَنْ لَا يَتَخَاذَلُوا وَلَا يُسْلِمَ بَعضُهُمْ بَعضًا مَا بَلَّ بَحْرٌ صُوفَةً، فَأَخْرَجَتْ بَنُو عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ جَفْنَةً مَمْلُوءَةً طِيبًا، قِيلَ: إِنَّ بَعْضَ نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَخْرَجَتْهَا لَهُمْ، فَوَضَعُوهَا فِي الْمَسْجِدِ وَغَمَسُوا أَيْدِيَهُمْ فِيهَا وَتَعَاهَدُوا وَتَعَاقَدُوا، وَمَسَحُوا الْكَعْبَةَ بِأَيْدِيهِمْ تَوْكِيدًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَسُمُّوا بِذَلِكَ "الْمُطَيَّبِينَ"، وَتَعَاقَدَ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْقَبَائِلِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ عَلَى أَنْ لَا يَتَخَاذَلُوا وَلَا يُسْلِمَ بَعضُهُمْ بَعضًا فَسُمُّوا الْأَحلَافَ، ثُمَّ تَصَافُّوا لِلْقِتَالِ وَأَجْمَعُوا عَلَى الْحَرْبِ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ تَدَاعَوْا لِلصُّلْحِ، عَلَى أَنْ يُعْطُوا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ السِّقَايَةَ وَالرِّفَادَةَ، وَأَنْ تَكُونَ الْحِجَابَةُ وَاللِّوَاءُ وَالنَّدوَةُ لِبَنِي عَبْدِ الدَّارِ، فَاصْطَلَحُوا وَرَضِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ بِذَلِكَ وَتَحَاجَزُوا عَنِ الْحَرْبِ، وَثَبَتَ كُلُّ قَوْمٍ مَعَ مَنْ حَالَفُوا حَتَّى جَاءَ
==

النّعم وأنّي أنكثه» قال الزُّهريّ: قال رسول الله ﷺ: «لم يصب الإسلام حلفا إلّا زاده شدّة، ولا حلف في الإسلام» وقد ألّف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار ".[1]

إنَّ الذي حصل منه ﷺ هو مؤاخاة لأمر اقتضى ذلك، وأما: "لا حلفَ في الإسلامِ" فالمقصود به ما كان في الجاهليّةِ من التحالفِ على النصرة وأمور غير حسنة، بمعنى: أنَّه ينصره ولو كان ظالمًا، ويكون معه في الخيرِ والشر، والإسلام إنّما جاء بتثبيت ما يكون في الخير، وأما ما حصل بين المهاجرين والأنصار فليس من قبيل ما حصل في الجاهلية، وإنما هو من قبيل شيء فيه مصلحة للمهاجرين؛ لأنَّهم تركوا أموالَهم وأوطانَهم فصاروا بدون مأوى أو مالٍ يأكلون منه ويلبسون، فالرسول ﷺ عمل على المؤاخاةِ بينهم.[2]

والحلف كان على أمور شرعية لا جاهلية فيها فإنّه مشروع..

---

==

الْإِسْلَامُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَا كَانَ مِنْ حِلْفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا شِدَّةً». (الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ٤١٢/١ مع بعض الاختصار). المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الكفالة/ بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ)، (٢٢٩٤/٦٦/٣). ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عنهم\ بَابُ مُؤَاخَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ (٢٥٢٩/١٩٦٠/٤). فهومتفق عليه.

(٢) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٣٤٤/٢١) نصًّا.

قال ابنُ الأثيرِ: الحلفُ في الأصلِ المعاقدةُ والمعاهدةُ على التعاضد والتساعد والاتفاق. فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال والغارات فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام، بقوله ﷺ: لا حلفَ في الإسلام، وما كان منه في الجاهلية على نصر المظلوم وصلة الأرحام، فذلك الذي قال فيه ﷺ: وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزدْه الإسلام إلا شدة. يريد من المعاقدة على الخير ونصرة الحق. وبذلك يجتمع الحديثان، وهذا هو الحلف الذي يقتضيه الإسلام. والممنوع منه ما خالف حكم الإسلام(١).

وبعد.. فليقتدِ المسلمُ برسولِ الله ﷺ، وليسعَ إلى تحقيقِ الألفة بين أبناءِ مجتمعِه حتى يثمرَ ذلك توفّر جو اجتماعيٍّ سليمٍ لنموّ الإنسان المسلم نموًّا سليمًا في إطار مبادئ الإسلام، وكذلك تحقيق الترابط الاجتماعيّ ونبذ أسباب الفرقة والمعاداة، وتحقّق الاجتماع على الخير ومن ثم يحقق في النهاية: التّماسك الاجتماعيّ، ونشر روح المودّة بين المسلمين.

## الصفة السادسة: (الأمانة)

**<u>الأمانةُ لغةً:</u>** مصدرُ قولِهم: أمن يأمن أمانة، أي: صار أمينًا، وهو مأخوذٌ من مادّة (أ م ن) الّتي تدلّ على سكون القلب، ويقال: أمنت الرّجل أمنا وأمنة وأمانا، وآمنني يؤمنني إيمانا، ورجل أمنة: إذا كان يأمنه النّاس ولا يخافون غائلته، وأمنة بالفتح إذا كان يصدّق ما سمع ولا يكذّب بشيء، وقال الجوهريّ: الأمنة: الّذي يصدّق بكلّ شيء وكذلك الأمنة مثال الهمزة،

(١) تهذيب الآثار لأبي جعفر الطبري (١٩/١) نصًّا. المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ).

واستأمن إليه دخل في أمانه. وقال ابن منظور: الأمان والأمانة بمعنى واحد والأمانة: ضدّ الخيانة. وقال ابن الأثير: الأمنة جمع أمين، وهو الحافظ.[1]

**واصطلاحا:**

الأمانة: كلّ ما افترض الله على العباد فهو أمانة كالصّلاة والزّكاة والصّيام وأداء الدّين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار، وبعبارة أخرى: كلّ ما يؤتمن عليه من أموال وحرم وأسرار فهو أمانة. وقيل: هي خلق ثابت في النّفس يعفّ به الإنسان عمّا ليس له به حقّ، وإن تهيّأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند النّاس، ويؤدّي به ما عليه أو لديه من حقّ لغيره، وإنْ استطاعَ أنْ يهضمَه دون أن يكون عرضة للإدانة عند النّاس. وهي أحد الفروع الخلقيّة لحبّ الحقّ وإيثاره وهي ضدّ الخيانة.[2]

**تطبيق رسول الله ﷺ لصفة الأمانة:**

عن أبي سعيد الخدريّ – رضي الله عنه – قال: بعث عليّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ[3]، لم تحصّل من ترابها. قال فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرّابع إمّا علقمة وإمّا عامر بن الطّفيل.

---

(١) مختارالصحاح (٥/ ٢٠٧١)، ولسان العرب (١٣/ ٢١، ٢٢). ومقاييس اللغة (١/ ١٣٣) نصا.

(٢) الكليات للكفوي (١٧٦، ١٨٦) نصا.

(٣) «أدِيم مَقْرُوظ» أَيْ مَدْبوغ بالقَرَظ، وَهُوَ وَرقَ السَّلَم. (النهاية في غريب الحديث والآثر ٤/٤٣) نصا.

فقال رجلٌ من أصحابِه: كنّا نحن أحقّ بهذا من هؤلاء. فبلغ ذلك النّبيّ ﷺ فقال: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السّماء، يأتيني خبر السّماء صباحًا ومساء؟... الحديث»[١]، وفي رواية الإمام مسلم رحمه الله: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَنْ يُطِعِ اللهَ إِنْ عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي؟».

ووجه الاستدلال قوله ﷺ: أي يأمنني الله تعالى على الرسالة التي أرسلني بها إلى الأرض، ولا تأمنني أنت أيها المعترض، ومَنْ على شاكلتك ممّن ضل طريق الرشد، لا تأمنوني على حطام الدنيا أن أضعه حيث يجب أن يوضع، على وفق أمر الله تعالى[٢] فَهُوَ أَحَقُّ الْعَالَمِينَ ﷺ بِهَذَا الاسْمِ، فَهُوَ أَمِينُ اللَّهِ عَلَى وَحْيِهِ وَدِينِهِ، وَهُوَ أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، وَأَمِينُ مَنْ فِي الْأَرْضِ، وَلِهَذَا كَانُوا يُسَمُّونَهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ "الْأَمِينَ".

وسمي ﷺ بالأمين؛ لأنَّه حافظُ الوحي، قوي على الطاعة، وأيضا لأنَّ الله تعالى اِئتمنه على وحْيه وجعله واسطةً بينه وبين خلقِه، وكساه من الأمانة التي هي ضد الخيانة حلّة وافرةً وتوّجه بتاجِ الصدقِ المرصّعِ بدُرَرِها الفاخرة[٣]. فلْنتأسَّ برسولِ الله ﷺ في تطبيق الأمانة فردًا ومجتمعا، فهي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي/ بَابُ بَعْثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَخَالِدِ بْنِ الوَلِيد إِلَى اليَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ (٤٣٥١/١٦٣/٥). وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة/ بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ (١٠٦٤/٧٤١/٢). ضمن حديث طويل.

(٢) شرح القسطلاني لصحيح البخاري (إرشاد الساري ٤٢٢/٦) نصا.

(٣) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد. المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ) (٤٣٥/١) نصا.

أحقُّ الفضائلِ بالصدارة لأنَّها جهادُ النّفسِ، وصراعُ الغرائزِ، وإبطال الباطلِ، وإحقاق الحق، فيجب على كلِّ موظّفٍ وعاملٍ أنْ يشغلَ الوقت المخصَّصَ للعمل في العمل الذي خُصِّص له، فلا يشتغل فيه بأمورٍ أخرى غير العمل الذي يجب أداؤه فيه، ولا يشغل الوقت أو شيئًا منه في مصلحته الخاصة، ولا في مصلحة غيره إذا كانت لا عَلاقة لها بالعمل؛ لأنَّ وقتَ العملِ ليس مِلكًا للموظّف والعامل، بل لصالحِ العمل الذي أخذ الأجر في مقابله، وقد وعظ الشيخ المعمَّر بن علي البغدادي المتوفى سنة (٥٠٧هـ) نظامَ المُلك الوزير موعظةً بليغةً مفيدة، مِمَّا قال في أوَّلها: "معلومٌ . يا صدرَ الإسلام! . أنَّ آحاد الرعية من الأعيان مخيَّرون في القاصد والوافد، إن شاؤوا وصلوا، وإن شاؤوا فصلوا، وأمَّا مَن توشَّح بولاية فليس مخيَّرًا.[(١)]

وبالأمانة يُؤدِّي الفرد المسؤلية على وجهٍ تبرأ به ذمَّته؛ لأنَّه بالأمانة يضعُ الأمورَ في مواضعها، وبالقوة يتمكَّن من أداء الواجب عليه، وقد أخبر الله عن إحدى ابنتي صاحب مدين أنَّها قالت لأبيها لَمَّا سقى لهما موسى عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾[(٢)].

ومِن فوائد الأمانة: أنَّها هي محورُ الدّينِ، وامتحانُ ربِّ العالمين. وبها يحفظ الدّين والأعراض والأموال والأجسام والأرواح والمعارف والعلوم والولاية والوصاية والشّهادة والقضاء والكتابة، وأنَّها من أعظم الصّفات الخلقيّة الّتي

(١) طبقات الحنابلة لأبي الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ) (١٠٧/١) نصا.

(٢) القصص، آية رقم (٢٦).

وصــف الله بهــا عبــاده المــؤمنين بقولــه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾.[١]

وعسى بذلكَ أنْ يكون واضحًا أنَّ الأمانةَ إنّما هي رسالةُ المجتمعِ قبل أنْ تكونَ فضيلةَ الفردِ، وأنَّها الكنزُ القديم المدخرُ للإنسانيّة منذ الأزال حتى الآباد، وأنَّ المجتمع الذي تفشو فيه الأمانة مجتمع خيروبركة. ولنا في أمانةِ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – في مواقفه بالغ الأسوة، وصدق الله تبارك اسمُه إذ يقول: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾.[٢]

## الصفة السابعة: (الإنصاف)

<u>**الإنصافُ لغةً:**</u> مصدرُ قولِهم: أنصف يُنصف، وهو مأخوذ من مادّة (ن ص ف) الّتي تدلّ على معنيين: أحدهما: شطر الشّيء، والآخر: على جنس من الخدمة والاستعمال. فالأوّل: نصف الشّيء ونصيفه شطره، ومن ذلك الإنصاف في المعاملة، وكأنّه الرّضا بالنّصف، والنّصف: الإنصاف أيضا، والنّصف أحد شقّي الشّيء، والنّصف أيضا: النّصفة، وهي الاسم من الإنصاف، يقال: أنصف النّهار: أي انتصف، وأنصف (الشّخص) إذا عدل، ويقال: أنصفه من نفسه، وانتصفت أنا منه، وتناصف القوم: أي أنصف بعُضهم بعضًا من نفسه. وقيل: إذا تعاطوا الحقّ بينهم، وأنصفت

---

(١) سورة (المؤمنين ٨، والمعارج ٣٢).

(٢) الأحزاب، الآية (٧٢).

الرّجل إنصافا: عاملته بالعدل والقسط، وانتصف منه: استوفى حقّه منه كاملًا حتّى صار كلٌ على النّصف سواء.(١)

**الإنصاف اصطلاحا:**

قال المناويّ: الإنصاف: هو العدل في المعاملة بأن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلّا ما يعطيه، ولا ينيله من المضارّ إلّا كما ينيله، وأضاف الرّاغب إلى ذلك: الإنصاف في الخدمة وهو أن يعطي صاحبه ما عليه بإزاء ما يأخذ من النّفع. وقيل: هو استيفاءُ الحقوقِ لأربابِها واستخراجها بالأيدي العادلة والسّياسات الفاضلة. والإنصاف والعدل توأمان نتيجتهما علوّ الهمّة وبراءة الذّمّة باكتساب الفضائل وتجنّب الرّذائل.(٢)

ومما ورد من الأحاديث في معنى الإنصاف: ما روي عن المعرور قال: لقيت أبا ذرّ بالرّبذة وعليه حلّة، وعلى غلامه حلّة، فسألته عن ذلك فقال: إنّي ساببت رجلًا فعيّرته بأمّه، فقال لي النّبيّ ﷺ: يا أبا ذرّ، أعيّرته بأمّه؟ إنّك امرؤ فيك جاهليّة.(٣) ففي هذا الحديث أنصفَ رسول الله ﷺ الغلام من أبي ذرٍ، وأمره بحسن معاملته: ففِي الْحَدِيثِ النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الرَّقِيقِ وَتَعْيِيرِهِمْ بِمَنْ وَلَدَهُمْ وَالْحَثّ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالرِّفْقِ بِهِمْ وَيَلْتَحِقُ

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٤٣١- ٤٣٢). الصحاح (٤/ ١٤٣٢- ١٤٣٤). المصباح المنير (٨٣٥). القاموس المحيط (١١٠٧) ط. بيروت. اختصارا.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٦٤). المفردات للراغب (٤٧٥) اختصارا.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان/ باب المَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، وَلاَ يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلَّا بِالشِّرْكِ (١/١٥/٣٠).

بِالرَّقِيقِ مَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنْ أَجِيرٍ وَغَيْرِهِ وَفِيهِ عَدَمُ التَّرَفُّعِ عَلَى الْمُسْلِمِ وَالِاحْتِقَارِ لَهُ.(١)

**مثالٌ لتطبيقِ الرسول ﷺ العمليّ لصفةِ الإنصافِ:**

عن المسور بن مخرمة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: "إنّ بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن يُنكحوا ابنتهم عليّ بن أبي طالب: فلا آذن، ثمّ لا آذن، ثمّ لا آذن، إلّا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلّق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنّما هي بضعة منّي يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها"(٢). وقد ترجم الإمام البخاريّ لهذا الحديث بقوله:

(باب ذبّ الرّجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف)، قال ابن حجر: أي في دفع الغيرة عنها والإنصاف لها. وفي رواية الإمام مسلم رحمه الله: «إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي، وَإِنِّي أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا» قَالَ ثُمَّ ذَكَرَ صِهْرًا لَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ فَأَحْسَنَ، قَالَ: «حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي، وَوَعَدَنِي فَأَوْفَى لِي، وَإِنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلَالًا وَلَا أُحِلُّ حَرَامًا، وَلَكِنْ وَاللهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللهِ مَكَانًا وَاحِدًا أَبَدًا».

(١) فتح الباري (١٧٥/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح/ باب ذَبِّ الرَّجُلِ عَنِ ابْنَتِهِ فِي الغَيْرَةِ وَالإِنْصَافِ (٥٣٢٠/٣٧/٧). ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل/ باب فضائل فاطمة (٢٤٤٩/١٩٠٢/٤). فهو متفق عليه.

## الصفة الثامنة: (الإيثار)

**الإيثار لغة:**

الإيثارُ مصدرُ قولِهم: آثره عليه يؤثره إيثارًا، بمعنى فضّله وقدّمه، وهو مأخوذ من مادّة (أ ث ر) الّتي تدلّ على تقديم الشّيء، ومن ذلك قولهم: الأثير وهو الكريم عليك الّذي تؤثره بفضلك وصلتك، وجمع الأثير أثراء، والمآثر ما يروى من مكارم الإنسان، ويستعار الأثر للفضل والإيثار للتّفضّل.[١]

**واصطلاحا:**

الإيثار: هو تقديم الغير على النّفس في حظوظها الدّنيويّة رغبة في الحظوظ الدّينيّة، وذلك ينشأ عن قوّة اليقين وتوكيد المحبّة، والصّبر على المشقّة.[٢]

**التطبيقُ العَمليُّ من رسول الله ﷺ لصفةِ الإيثارِ:**

**المثال الأول:**

(عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنّه كان يقول: الله الّذي لا إله إلّا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع. وإن كنت أشدّ الحجرعلى بطني من الجوع، ولقد قعدت يوما على طريقهم الّذي يخرجون

(١) النهاية لابن الأثير (٢٢١)، والصحاح للجوهري (٥٧٥٢) ولسان العرب (١/ ٢٦) اختصارًا.

(٢) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) (١٨/ ١٨) نصا. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (المتوفى: ٦٧١هـ).

منه فمرّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلّا ليشبعني، فمرّ ولم يفعل، ثمّ مرّ أبو القاسم ﷺ فتبسّم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي. ثمّ قال: «يا أبا هرّ» قلت: لبّيك رسول الله قال: «الحق» ومضى. فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي، فدخل فوجد لبنا في قدح، فقال: «من أين هذا اللّبن؟» قالوا: أهداه لك فلان – أو فلانة – قال:«أبا هرّ» قلت: لبّيك يا رسول الله. قال: «الحق إلى أهل الصّفّة فادعهم لي» . قال: وأهل الصّفّة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد. إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هديّة أرسل إليهم وأصاب منها، وأشركهم فيها– فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللّبن في أهل الصّفّة؟ كنت أحقّ أن أصيب من هذا اللّبن شربة أتقوّى بها، فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللّبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: «يا أبا هرّ»، قلت: لبّيك يا رسول الله. قال: «خذ فأعطهم». فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرّجل فيشرب حتّى يروى، ثمّ يردّ عليّ القدح حتّى انتهيت إلى النّبيّ ﷺ وقد روي القوم كلّهم. فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إليّ فتبسّم فقال: «أبا هرّ»، قلت: لبّيك يا رسولَ الله. قال: «بقيت أنا وأنت»، قلت: صدقت يا رسول الله. قال: «اقعد فاشرب»، فقعدت فشربت. فقال: «اشرب»، فشربت فما زال يقول: «اشرب». حتّى قلت: لا والّذي بعثك بالحقّ ما أجد له مسلكا. قال: «فأرني» فأعطيته القدح فحمد الله وشرب).(١)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق/ بَابٌ: كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَتَخَلِّيهِمْ مِنَ الدُّنْيَا (٨/٩٦/٦٤٥٢).

في الحديثِ دليلٌ واضحٌ على ما كان ﷺ عليه من إيثار البلغة وأخذ القوت في كرم نفسه، وأنّه لم يستأثر بشيء من الدنيا دون أمته، حيث لم يشرب ﷺ أولا، ولا حتى بعد أنْ شرب القوم بل شرب آخر الجماعة بعد أن شرب أبو هريرة – رضى الله عنه –، وهو القائد العظيم والمشرّع الكريم بأمر ربِّه صلوات الله عليه لم يشرب إلا آخرهم جميعًا، وهو خيرهم وسيدهم جميعًا. إنّنا عندما نسمع هذا الحديث فنسمع أعجب ما تسمع الدنيا من العدالة والمساواة والإيثار يقدمه معلم العالمين كلهم بأمر ربّه محمد ﷺ، فإذا تأسينا به ﷺ في خلقه الطيب لم نجد للفرقة أو الطمع أوالبغضاء مكانًا بين أفراد مجتمعنا، بل لا نجد سائدًا إلا التآلف والتحاب وحب كل واحد تقديم أخيه على نفسه.

فإنْ كانت النفس مجبولة على الأثرة لا على الإيثار قيل يسهله أمور:

– أحدها: تعظيم الحقوق التي جعلها الله سبحانه وتعالى للمسلمين بعضهم على بعض فهو يرعاها حق رعايتها ويخاف من تضييعها، ويعلم أنّه إن لم يبذل فوق العدل لم يمكنه الوقوف مع حده فإنّ ذلك عسر جدا، بل لا بُدَّ من مجاوزته إلى الفضل أو التقصير عنه إلى الظلم فهو لخوفه من تضييع الحق والدخول في الظلم يختار الإيثار بما لا ينقصه ولا يضره ويكتسب به جميل الذكر في الدنيا وجزيل الأجر في الآخرة مع ما يجلبه له الإيثار من البركة وفيضان الخير عليه فيعود عليه من إيثاره أفضل مما بذله.

– الثاني: النفرة من أخلاق اللئام ومقت الشح وكراهته له.

- الثالث: رغبة العبد في مكارم الأخلاق ومعاليها، فإنَّ من أفضل أخلاق الرجل وأشرفها وأعلاها الإيثار وقد جبل الله القلوب على تعظيم صاحبه ومحبته كما جبلها على بغض المستأثر ومقته لا تبديل لخلق الله.(١)

المثال الثاني لتطبيقِ نبيّ الأمّةِ ﷺ لخلق الإيثار:

(عن سهل بن سعد، قال: جاءت امرأةٌ إلى النّبيّ ﷺ ببردةٍ فقال سهل للقوم، أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي شملة فقال سهل: هي شملة منسوجة فيها حاشيتها فقالت: يا رسول الله أكسوك هذه؟ فأخذها النّبيّ ﷺ محتاجا إليها فلبسها فرآها عليه رجل من الصّحابة فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسنيها؟ فقال: «نعم» فلمّا قام النّبيّ ﷺ لامه أصحابه فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النّبيّ ﷺ أخذها محتاجا إليها ثمّ سألته إيّاها وقد عرفت أنّه لا يسأل شيئا فيمنعه فقال: رجوت بركتها حين لبسها النّبيّ ﷺ لعلّي أكفّن فيها.) (٢)

فآثر - صلى الله عليه وسلم - الرجل على نفسه، وأنَّ تلك كانت عادته، لقول الراوي: (ثم سألته وعلمت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه)، أي إنَّ عدمَ ردِّ السائل كان مسلكه دائمًا ﷺ، وتدبر أنَّ النبيَّ ﷺ قد خلعها للسائل بعد أن لبسها. ومع حاجته ﷺ إلى البردة، كساها لأحد أصحابه بمجرد أنْ سألَه إيّاها. وكان من خلق النبي عليه الصلاة والسلام أنه لا يرد سائلًا، وهو أولى بصفة الجود والكرم من ذلك الذي قيل فيه:

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية (١٠٧/١) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب/ بَابُ حُسْنِ الخُلُقِ وَالسَّخَاءِ، وَمَا يُكْرَهُ مِنَ البُخْلِ (٦٠٣٦/١٤/٨) بلفظه.

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله .

فأولى الناسِ بهذا الوصفِ هو رسولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام.

قال ابنُ حجر – رحمه الله –: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ حُسْنُ خُلُقِ النَّبِيِّ ﷺ وَسِعَةُ جُودِهِ وَقَبُولُهُ الْهَدِيَّةَ[1]. فكان ﷺ يؤثر على نفسه، فيعطي العطاء ويمضي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار. وكان كرمه ﷺ كرمًا في محلّه ينفق المال لله وبالله، إما لفقير، أو محتاج، أو في سبيل الله، أو لتأليفٍ على الإسلام، أو لتشريعٍ للأمة، فما أعظمَ كرمَه وجودَه وسخاءَ نفسِه ﷺ، وما هذه الصفة الحميدة إلا جزء من مجموع الصفات التي اتّصف بها حبيبنا ﷺ.[2] فلنتأسَ به ﷺ في هذه الصفة الحميدة، وليعطِ المسلم ويبذل ما عنده، ولو كان فقيرا، لقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3]، حيث إنَّ قولَ الرَجلِ: "وقد عرفت أنّه لا يسأل شيئا فيمنعه" (وشيئًا) هنا نكرة جاءت في سياق النفي، فتقتضي العموم، ومعناه: لا يسألُ عن صغير ولا كبير، يحتاج إليه أو لا يحتاج إليه إلا ويعطيه.

---

(١) فتح الباري (٢/١٤٤) بنصه.

(٢) موسوعة الأخلاق الإسلامية (١/١٨٤) اختصارًا.

(٣) سورة الحشر، آية رقم (٩).

ومن فوائدِ الإيثارِ: طريق موصّل إلى محبّة الله ورضوانه. حصول الألفة والمحبّة بين النّاس. دليل سخاء النّفس وارتقائها. مظهر من مظاهر حسن الظّنّ بالله. الإيثار دليلُ علوّ الهمّة والبعد عن صفة الأثرة الذّميمة. الإيثار يجلب البركة وينمّي الخير. الإيثار طريق موصّل إلى الفلاح؛ لأنّه يقي الإنسان من داءِ الشّحّ.

**الصفة التاسعة**: (**البشارة**)

البشارة (بضمّ الباءِ وكسرِها) الاسم من قولِهم بشّره بالأمرِ يبشِّره بشرًا وبشورًا، ويتعدّى بالهمزة فيقال أبشره، وبالتّضعيف فيقال بشّره، ويقال أيضا: بشر بالشّيء إذا استبشر به وبابه طرب. وكلّه مأخوذ من مادّة (ب ش ر) الّتي تدلّ على الظّهور والحسن. وقال الزّجّاج: معنى يبشرك يسرّك ويفرحك، وبشرت الرّجل أبشره إذا أفرحته. قال: وأصل هذا كلّه أنّ بشرة الإنسان تنبسط عند السّرور، ومن هذا قولهم: فلان يلقاني ببشرٍ، أي بوجهٍ منبسط.(١)

واصطلاحا: كلّ خبرٍ صدق تتغيّر به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشّرّ، وفي الخير أغلب(٢).

---

(١) النهاية لابن الأثير (١/ ٩٤)، ومختار الصحاح للرازى (٤٦) ومقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٢٥١) اختصارا.

(٢) التعريفات للجرجاني (٤٥) وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/ ١٧١) اختصارًا.

## المثالُ التطبيقيُّ من رسولِ اللهِ ﷺ لصفةِ البشارةِ:

### المثال الأول:

عن أنسٍ بنِ مالكٍ – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أوّل النّاس خروجًا إذا بعثوا، وأنا خطيبُهم إذا وفدوا، وأنا مبشّرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربّي ولا فخر».(١)

فقوله ﷺ في هذا الحديث: (وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ)، أي: مبشر المؤمنين بالرحمة والمغفرة إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِمُ الْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ وذلك في موقف الشفاعة العظمى له ﷺ يوم القيامة.(٢)

**المثالُ الثاني** لتطبيقِ الرّسولِ الكريمِ ﷺ لصفةِ البِشارةِ:

ما رُوي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: كنّا قعودًا حولَ رسولِ اللهِ ﷺ، معنا أبو بكر وعمر في نفرٍ، فقام رسولُ اللهِ ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا، فكنت أوّل من فزع فخرجت أبتغي رسولَ الله ﷺ حتّى أتيت حائطا للأنصار لبني النّجّار فدرت به هل أجد له بابًا فلم أجد فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة والرّبيع (الجدول)، فاحتفزت كما يحتفز الثّعلب فدخلت على رسول الله ﷺ فقال: «أبو هريرة؟» فقلت: نعم يا رسول الله. قال: «ما شأنك. قلت: كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا فكنت أوّل

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب المناقب/ باب في فضائل النبي ﷺ (٣٩١٠/٩/٦). وقال حديث حسن.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ) ٥٧/١٠) اختصارًا.

من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثّعلب وهؤلاء النّاس ورائي فقال: «يا أبا هريرة» (وأعطاني نعليه) قال: «اذهب بنعليّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلّا الله مستيقنا بها قلبه فبشّره بالجنّة».(١)

ومن بشارته العمليّة لأصحابه ﷺ: ما روي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنّة: يا عبدَ الله هذا خير، فمن كان من أهل الصّلاة دعي من باب الصّلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومَنْ كانَ مِنْ أهلِ الصّيامِ دعي من باب الرّيّان، ومَنْ كانَ مِنْ أهلِ الصّدقة دعي مِنْ بابِ الصّدقة. فقال أبو بكر – رضي الله عنه –: بأبي أنتَ وأمّي يا رسولَ الله. ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلّها؟ قال: «نعم. وأرجو أن تكون منهم»(٢) والنبي ﷺ كان يبشر بالأمور الدينية كثيرًا، فليس فقط لمن جاءه ولد أو مال أو هدايا أو نحو ذلك، بل كان ﷺ كثيرًا ما يبشر بالأمور الدينية..

ومن ذلك ماروي عن أنسٍ بنِ مالكٍ – رضي الله عنه –: أنّ النّبيّ ﷺ افتقد ثابتَ بنِ قيس، فقال رجلٌ: يا رسولَ الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسا في بيته منكّسا رأسه، فقال له: ما شأنُك؟ فقال: شرّ. كان يرفع

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان/ بَابُ مَنْ لَقِي اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُو غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ (٣١/٦١/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم/ باب الريان للصائمين (١٨٩٧/٢٥/٢). ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة/ بَابُ مَنْ جَمَعَ الصَّدَقَةَ، وَأَعْمَالَ الْبِرِّ، فهو متفق عليه. (١٠٢٧/٧١١/٢).

صوته فوق صوت النّبيّ ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النّار، فأتى الرّجل النّبيّ ﷺ فأخبره أنّه قال: كذا وكذا، فرجع إليه المرّة الأخيرة ببشارة عظيمة، فقال: اذهب إليه فقل له: «إنّك لست من أهل النّار، ولكنّك من أهل الجنّة» (١) ففي الحديث دلالة واضحة على رغبته ﷺ في إدخال السرور عليهم والمبادرة إلى ذلك ما أمكن، ودليله أنَّ النبيَّ ﷺ لم يستدعِ ثابت بن قيس ليبشّرَه بالبشارة العظيمة، ولكنّه ردَّ إليه الصحابي مرة أخرى ليبشره، وإنما فعل النبي ﷺ ذلك حبّا منه أن يخرج ثابت ابن قيس من بيته – الذي حبس نفسه فيه – فرحًا مرفوع الرأس مستبشرًا بالجنة، بعد أنْ مكثَ في بيتِه منذ أن نزلت الآية منكس الرأس.

بذلك أصبح أنَّ التبشير بالخيرمن الآداب الإسلامية العظيمة. فلنتأسَّ به ﷺ في تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيره، وذكر أسباب السلامة له فنكون سببًا في حصول الفرج بعد الشّدّة ونؤجر على انشراح الصّدر وسعادة القلب، وهي سبب لاستقرارِ النّفس وراحةِ البال، لا سيما أنَّها تجلب الطّمأنينة وسكون النّفس وترفع الرّوح المعنويّة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب/ باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٣/١٠٢/٤).

**الصفة العاشرة**: (**البشاشة**)

مصدر بشّ، وهو مأخوذ من مادّة (ب ش ش) الّتي تدلّ – بحسب وضع اللّغة – على معنى واحد هو اللّقاء الجميل والضّحك إلى الإنسان سرورًا به. وبشاشة والبشاشة: طلاقة الوجه. والبشّ: اللّطف في المسألة، والإقبال على الرّجل، وقيل: هو أنْ يضحكَ له، وقيل: فرح الصّديق بالصّديق، ولقاؤه لقاءً جميلًا. ويقال: رجل هشّ بشّ: أي طلق الوجه طيّب. ويقال للوجه: البشيش، فيقال فلان مضيء البشيش. ويقال: تبشبش به، أي: آنسه وواصله، والبشّ: اللّطف في المسألة والإقبال على الرّجل، وقيل: هو أنْ يضحكَ له ويلقاه لقاءً جميلًا، والبشاشة طلاقة الوجه، وبشاشة اللّقاء: الفرح بالمرءِ والانبساط إليه والأنس به، ورجل هشّ بشّ وبشّاشّ طلق الوجه طيّب، وقد بششت به (بالكسر) أبشّ بشًا وبشاشة(١).

**واصطلاحا:**

هي سرورٌ يظهر في الوجه يدلّ به على ما في القلب من حبّ اللّقاء والفرح بالمقابلة.(٢)

---

(١) لسان العرب (٢٨٨- ٢٨٩)، والصحاح (٣/ ٩٩٦)، وتاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) (٤/ ٢٨٣) اختصارًا.

(٢) لسان العرب (٢٨٩) مادة بشش.

وهذا الخلق قد حثّ عليه المصطفى ﷺ بقوله وفعله، فقال: (لا تحقرنَّ مِنَ المعروفِ شيئًا؛ ولو أنْ تلقى أخاك بوجهٍ طلق).(١)

**<u>المثال التطبيقي الأول:</u>** من حياة النبي ﷺ في (البشاشة):

عن جريرِ بنِ عبدِ اللهِ البجليّ، أنّه قال: ما حجبَنِي رسولُ الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلّا تبسّم في وجهي، ولقد شكوتُ إليه أنّي لا أثبتُ على الخيلِ، فضربَ بيدِه في صدري وقال: اللهُمَّ ثبّتْه واجعلْه هاديًا مهديًّا).(٢) ففي الحديثِ: أنَّ لقاءَ الناسِ بالتبسُّم وطلاقةِ الوجهِ منْ أخلاقِ النبوّةِ، وهو منافٍ للتكبُّر وجالبٌ للمودّةِ.(٣) ويندرجُ تحت هذا الخلقِ التعاملُ معَ النّاسِ بوجهٍ طلق؛ لأنَّ الابتسامةَ لا تكلّف الإنسان شيئًا، وفي الوقت نفسه تُعطي التشجيعَ للمرءِ وترفع من معنويّاته، وتزيده إقدامًا نحو العمل والإنتاج، ناهيك عن أنَّ التبسمَ في وجوهِ النّاسِ يحصل صاحبها على الأجر من الله – سبحانه وتعالى – كلما ابتسم، كما أنَّ الابتسامة تولّد جوًّا من الرّاحةِ النفسيّةِ في البيت والعمل والشارع، وتحلُّ كثيرًا من مشاكلِ النّاسِ، وتزيد الألفة والمحبّة بين الناسِ، لذا كان الرسول – ﷺ – من أكثر الناس تبسُّمًا لكلِّ من يقابله في حياتِه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب/ بَابُ اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ (٢٦٢٦/٢٠٢٦/٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير/ بَابُ حَرْقِ الدُّورِ وَالنَّخِيلِ (٣٠٢٠/٦٢/٤)، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عنهم/ باب مِنْ فَضَائِلِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْه (٢٤٧٥/١٩٥٢/٤). فهو متفق عليه.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٩٤/٥) بنصه.

المثال الثاني:

ما روي عن عبدِ اللهِ بنِ مسعود – رضي الله عنه – أنّه قال: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا لأن أكون صاحبه أحبّ إليّ ممّا عدل به. أتى النّبيّ ﷺ، وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا، ولكنّا نقاتلُ عن يمينِك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرأيت النّبيّ ﷺ أشرق وجهه وسرّه (يعني قوله).(١) بذلك نجد أنَّ مِنْ علاماتِ حسنِ الخلقِ البشر وطلاقة الوجه؛ فإنَّ الابتسامةَ دليلٌ على حسنِ الخلق؛ وتوطِّنُ النفس على الأخذ بمحاسن الأخلاق؛ فالبسْمةُ في وجهِ أخيكَ هي من أغلى ما تهديه إليه، وبها تدخل السرورفي قلب المسلم فإنَّ أثرَ طلاقةِ الوجه على النفوس لا يجهلُه أحدٌ، وهو أثرٌ ملموسٌ يحسُّه كلُّ أحدٍ عندما يجد البسمة من أخيه، فالابتسامةُ تكسر كل الحواجز، وتنهي كلَّ الضغائن، وتريح النفوس، وتجمع القلوب، وتدعو إلى المسامحة والتآلف والمحبّة، وتشجع على التعاون والتكاتف والتآخي.

وفي قصّةِ كعب بن مالك وتخلفه عن غزوة تبوك وتوبة الله عليه ذكر في الحديث: قال كعب: فلمّا سلّمت على رسول الله ﷺ قال، وهو يبرق وجهه من السّرور ويقول: «أبشر بخير يوم مرّعليك منذ ولدتك أمّك» قال فقلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ فقال «لا، بل من عند الله» وكان رسول الله ﷺ إذا سرّ استنار وجهه. كأنّ وجهه قطعة قمر.(٢) من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي/ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ (٣٩٥٢/٧٣/٥)، بلفظه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي/ بَابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} (٤٤١٨/٣/٦). ومسلم في صحيحه كتاب ==

ذلك نجد أنَّ: التبسط وإزالة الحواجز بين المربي والمتربي كفيل بإيجاد بيئة مطمئنة تساعد في تسارع التعليم، وتطور التربية، واتساع مساحتها بشكل واضح، والناظر في هدي النبي ﷺ يجد ذلك واضحًا، ويرى الأثر الكبير الذي يحدثه هذا الأسلوب في النفوس. وفي سيرته ﷺ صورًا كثيرةً من تبسُّطه ﷺ مع أصحابه مع كثرة أشغاله وجدية حياته، إنّه مع ذلك يجد فرصة للمزاح معهم ومخالطتهم والدخول في أحاديثهم واستشارتهم وتسليتهم ومواساتهم. فلنتذكر أنَّ الابتسامةَ لا تكلف شيئًا، ولكنها تعود بخير كثير، وهي لا تفقر من يمنحها مع أنها تغني آخذيها، ولا تنس أنّها لا تستغرق لحظة، ولكنّها تبقى ذكرى حلوة إلى آخر العمر. وليس أحد فقير لا يملكها، ولا أحد غني مستغنيًا عنها، فكم نحتاج إلى إشاعة هذا الهدي النبوي الشريف، والتعبد لله به في ذواتنا، وبيوتنا، مع أزواجنا، وأولادنا، وزملائنا في العمل، فلن نخسر شيئًا! بل إننا سنخسر خيرًا كثيرًا . دينيًا ودنيويًا . حينما نحبس هذه الصدقة عن الخروج إلى واقعنا المليء بضغوطاتِ الحياة.

## الصّفَةُ الحادية عشرة: (التأنّي)

<u>التّأنّي لغةً:</u> مصدر تأنّى، ومعناه ترفقّ وانتظر، وهو مأخوذ من مادّة (الهمزة، نون، الحرف المعتل) الّتي تدلّ بحسب أصلِ اللّغة على أربعة معانٍ:

الأوّل: البطء وما أشبهه من الحلم وغيره.

---

==

التوبة بَابُ حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ (٤/٢١٢٠/٢٦٧٩). فهو متفق عليه.

الثّاني: ساعة من الزّمان.

الثّالث: إدراك الشّيء.

الرّابع: ظرف من الظّروف.

والتّأنّي هنا مأخوذٌ من المعنى الأوّل، يقول الخليل: الأناة: الحلم، والفعل منه أنى وتأنّى واستأنى، ويقال للتّمكّث في الأمور: التّأنّي، ويقال من الأناة: رجل أنيّ ذو أناة، ويقال: تأنّى في الأمر أي ترفّق، واستأنى به، أي انتظر به.(١)

واصطلاحًا: التّأنّي عدم العجلة في طلب شيء من الأشياء والتّمهّل في تحصيله والتّرفّق فيه(٢). ومن ذلك التأني عند نزول القرآن: في قوله تعالى: {وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}(٣)، ناشئة على ما تقدّم من التّنويه بالقرآن وما اشتمل عليه من تصاريف إصلاح النّاس. فلمّا كان النّبيّ ﷺ حريصا على صلاح الأمّة شديد الاهتمام بنجاتها لا جرم أنّه خطر بقلبه الشّريف عقب سماع تلك الآيات رغبة أو طلبة في الإكثار من نزول القرآن وفي التّعجيل به إسراعا بعظة النّاس وصلاحهم فعلّمه الله أن يكل الأمر إليه؛ فإنّه أعلم بما يناسب حال الأمّة العامّ.

(١)الصحاح (٦/ ٢٢٧٣) ، لسان العرب (١٦١) ، المصباح المنير (٦٧٣) ، ومفردات الراغب (ص ٣٩) . ومقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (١/ ١٤١) اختصارا .

(٢)تفسير. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) (ج ٦/ ٣١٦– ٣١٧) بنصه.

(٣) سورة طه أية رقم (١١٤).

فالمنهيّ عنه: هو سؤال التّعجيل أو الرّغبة الشّديدة في النّفس الّتي تشبه الاستبطاء، لا مطلق مودّة الازدياد، فقد قال النّبيّ ﷺ في شأن قصّة موسى مع الخضر – عليهما السّلام –: «وددنا أنّ موسى صبر حتّى يقصّ الله علينا من أمرهِما أو من خبرهما»(١). فإذا ما كان التّأنّي مطلوبا من النّبيّ ﷺ حين تنزّل القرآن عليه؛ فإنّ التّأنّي يكون مطلوبا من الإنسان في أمور حياته كلّها.

**المثال التطبيقيُّ الأوّلُ** من حياةِ رسولِ الله ﷺ لصفةِ التّأنّي:

ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: جاء أعرابيّ (ملويّ) جريء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أخبرنا عن الهجرة، إليك أينما كنت، أو لقوم خاصّة أم إلى أرض معلومة أم إذا متّ انقطعت؟ قال: فسكت عنه يسيرا، ثمّ قال: «أين السّائل؟» قال: ها هو ذا يا رسول الله. قال: «الهجرة أنْ تهجرَ الفواحش ما ظهرَ منها وما بطن، وتقيم الصّلاة وتؤتي الزّكاة، ثمّ أنت مهاجر وإن متّ بالحضر»، ثمّ قال عبدُ الله بن عمرو: جاء رجل إلى النّبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، أخبرنا عن ثيابِ أهلِ الجنّةِ خلقا تخلق أم نسجا تنسج فضحك بعضُ القومِ، فقال رسول الله ﷺ: «ممّ تضحكون؟ من جاهل يسأل عالما؟» ثمّ أكبّ رسول الله ﷺ، ثمّ

(١)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرءان /باب قوله تعالى {فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا . قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ} [الكهف: ٦٣] ضمن حديث طويل .

قال: «أين السّائل؟» قال: هو ذا أنا يا رسول الله، قال: «بل تشقّق عنها ثمار الجنّة ثلاث مرّات»(١).

**المثال الثاني** لتطبيقِ صفةِ التأني من رسولِ الله ﷺ:

عن مروان والمسور بن مخرمة -رضي الله عنهما - أنّهما قالا: إنّ رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يردّ إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «معي من ترون، وأحبّ الحديث إليّ أصدقه فاختاروا إحدى الطّائفتين: إمّا السّبيّ وإمّا المال، وقد كنت استأنيت بكم»، وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطّائف فلمّا تبيّن لهم أنّ رسول الله ﷺ غير رادّ إليهم إلّا إحدى الطّائفتين، قالوا: فإنّا نختار سبينا. فقام رسول الله ﷺ في المسلمين: فأثنى على الله بما هو أهله، ثمّ قال: «أمّا بعد فإنّ إخوانكم قد جاءونا تائبين، وإنّي قد رأيت أن أردّ إليهم سبيهم، فمن أحبّ منكم أن يطيّب ذلك فليفعل. ومن أحبّ منكم أن يكون على حظّه حتّى نعطيَه إيّاه من أوّل ما يفأ الله علينا فليفعل». فقال النّاس قد طيّبنا ذلك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «إنّا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممّن لم يأذن فارجعوا حتّى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم»، فرجع النّاس فكلّمهم عرفاؤهم، ثمّ رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنّهم قد طيّبوا وأذنوا)(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٩٤/١١). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب الجهاد / [بَابٌ فِيمَنْ أَقَامَ الدِّينَ فِي غَيْرِ أَرْضِ اللَّهِ الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا حَيْثُ كَانَ](٩٢٨٨/٢٥٢/٥). رواه أحمد وإسناده حسن.

(٢) أخرجَه البخاريُّ في صحيحِه، كتاب الوكالة/ بَابُ إِذَا وَهَبَ شَيْئًا لِوَكِيلٍ أَوْ شَفِيعِ قَوْمٍ جَازَ (٢٣٠٧/٩٩/٣).

فعلى المَرءِ أنْ يقتديَ به ﷺ في تأنّيه حتى يتبيّنَ الأمور، والأناة والحلم من الصّفات الّتى يحبّها الله ورسوله، وبه يتبيّن القضاء ويصلح أمر القضاة، كما أنَّه يؤدّي إلى عدم وقوع العالم في كراهية الحديث عند مَنْ لا يقبلون عليه كما يؤدّي إلى عدم وقوعه في الخطأ، كما أنه نوع من السّكينة المحمودة.

## الصفة الثانية عشرة: (التعاون على البرِّ والتّقْوى)

التعاونُ لغةً: مصدرُ تعاون، وهو مأخوذٌ من «العون» الّذي يُرادُ به المظاهرة على الشّيء، يقال: فلان عوني، أي معيني وقد أعَنْتُه، والعون أيضًا الظّهير على الأمر، الواحد والاثنان والجمع والمؤنّث فيه سواء، وتقول: أعنته إعانة واستعنته واستعنت به فأعانني وتعاونوا عليّ واعتونوا: أعان بعضهم بعضًا، وتعاونّا أعان بعضنا بعضا. والمعونة: الإعانة، ورجل معوان حسن المعونة، وكثير المعونة للنّاس وكلّ شيء أعانك فهو عون لك، كالصّوم عون على العبادة.[1] التعاون على البر والتقوى اصطلاحا: لا يختلف المعنى اللّغويّ للفظ التّعاون عن معناه الّذي تقرّر له في عرف الشّرع، ومن ثمّ يمكن تعريف صفة التّعاون على البرّ والتّقوى بأنّها: أن يظاهر المسلم أخاه ويعينه في فعل الخيرات، وعلى طاعة الله– عزّ وجلّ– وتجنّب معصيته.

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٥/ ٣١٧٩– ٣١٨٠) بنصه. وانظر الصحاح للجوهري (٦/ ٢١٦٨– ٢١٦٩).

المثال التطبيقيُّ الأول مِنْ حياةِ النبيّ ﷺ في التّعاونِ على البرّ والتقوى:

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «كان النّبيّ ﷺ يكون في مِهنَة أهلِه، فإذا حضرتِ الصّلاةُ قام إلى الصّلاةِ».(١)

كان النبيُّ محمدٌ ﷺ المثلَ الأعلى في التعاونِ، سواء أكان داخل بيتِه أم مع أصحابِه. كان متعاونًا في كلِّ أحواله، في البيتِ يساعدُ أهلَه، ويعاوِنَهم في شئون المنزلِ، وفى خارجِ البيتِ يتعاون مع أصحابِه في القيامِ ببعضِ الأعْمالِ بهمة ونشاط. وينقل معهم التراب والطوب، وكان عمره في ذلك الوقت – وهو يعمل – ثلاثًا وخمسين سنة، قال ابنُ بطال: أخلاقُ النبيينَ والمرسلينَ – عليهِمُ السلام – التواضعُ والتذلّلُ في أفعالِهم، والبعدُ عن الترفُّه والتنعُّم، فكانوا يمتهنون أنفسهم فيما يعن لهم ليسنوا بذلك، فيسلك سبيلهم وتقتفى آثارهم. وقول عائشة – رضي الله عنها: "كان في مهنةِ أهلِه" يدلُّ على دوامِ ذلك من فعلِه متى عرض له ما يحتاج إلى إصلاحه؛ لئلّا يخلد إلى الدعة والرفاهية التى ذمّها الله وأخبر بأنّها من صفاتِ غيرِ المؤمنين.(٢)

المثالُ التطبيقيّ الثاني:

موقفٌ آخر قام به النبيُّ ﷺ مع أصحابِه في غزوةِ الخندق(٣)، وهي الغزوةُ التي تحالفت فيها قريش مع عددٍ منَ القبائلِ العربيّةِ لمحاربةِ

---

(١) أخرَجه البخاريُّ في صحيحِه، كتاب الصلاة/ بَاب: مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَهْلِهِ فَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَخَرَجَ (١/١٣٦/٦٧٦).

(٢) شرحُ صحيحِ البخاري لابن بطال (٢/٢٩٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير/ باب حفر الخندق (٤/٢٦/٢٨٣٧). ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير/ باب غزوة الأحزاب وهي ==

المسلمين في المدينة، فقدموا إليها في عشرة آلاف مقاتل، وأقام النبي ﷺ خندقًا حول المدينة؛ استجابة لرأي الصحابيّ "سلمان الفارسي"، وقد عمل المسلمون في حفر الخندق في ظلِّ ظروفٍ صعبة جدًّا، فالجو كان في غاية البرودة، ولا بُدَّ من إنجاز الحفر في أسرع وقت، فقسم الرسول العمل على أصحابه، وجعل لنفسه نصيبًا من العمل، فكان يحفر معهم، ويحمل التراب بنفسه مثل باقي الصحابة.. وكان إذا رأى من الصحابة تعبًا قام بتنشيطهم للعمل مردِّدا: "اللّهُمَّ إنَّ العيشَ عيش الآخرة، فاغفر للأنصارِ والمهاجرة".

كانَ النبيُّ ﷺ يعملُ ذلك العملَ الشّاقَ وهو في السابعة والخمسين من عمره، ضاربًا المثلَ الأعلى والقدوة الحسنة لأصحابِه، وأنّه مثلُهم يعمل كما يعملون، ويبذل جهدًا كما يبذلون، فقد كان بإمكانه ﷺ أنْ يبقى في حصنٍ منيعٍ وأن يتّخذَ لنفسِه حرَسًا، وما أكثرَ الذين يفدونَه بأرواحِهم من أصحابِه، ولو فعل ذلك لم يعترض عليه أحدٌ، ولرأى الصحابة أنَّ ذلك من حقِّه، وأنَّ مِن واجبِهم أنْ يقوموا بحمايتِه، وأنْ يتولوا حماية المدينة بحفر الخندق، ولكنَّه ﷺ قدوة عليا لأمّتِه، فهو دائمًا يسابقُ أصحابَه إلى البذل والتضحية، ولا يوفر نفسه من الأعمال الشاقة. إنَّ مشاركةَ النبيِّ ﷺ بنفسِه في حفرِ الخندق مع أنَّه زعيم المسلمين وإمامُهم وبين قوم يفدونه بأرواحهم لمن أقوى الأدلة على صفاته التربويّةِ العاليةِ وخلود عظمته عبر الأجيال.

---

==

الخندق (٣/١٣٤٠/١٨٠٣). ولفظه عن البراء، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ، وَلَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، إِنَّ الْأُلَى قَدْ أَبَوْا عَلَيْنَا – قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ: إِنَّ الْمَلَا قَدْ أَبَوْا عَلَيْنَا – إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا، وَيَرْفَعُ بِهَا صَوْتَه. فهو متفق عليه.

**ومن فوائد التعاون:**

- أنَّه يؤدي إلى ازدياد الروابط الأخوية بين الزملاء.

- إنجازُ الأعمالِ في أسرعِ وقت وفي صورةٍ جيدة، حيث يؤدي كلُّ فردٍ ما يجيدُه ويحسن عمله.

- توفيرُ الوقتِ وتنظيم الجهد، فبدلًا منْ أنْ يتحمّلَ فردٌ واحدٌ مسئوليّةَ إنجازِ عملٍ ما، فإنَّه يوزّع على آخرين لإنجازه، وهذا يعني مجهودًا ووقتًا أقل.

- إظهارُ القوّةِ والتماسُكِ، فالمتعاونون يصعب هزيمتهم، مثلهم مثل العصا يمكن كسرُها إنْ كانت واحدة، ويصعب كسر مجموعة من العصى المترابطة.

- نيل رضا الله؛ لأنَّ اللهَ في عونِ العبدِ ما دامَ العبد في عونِ أخيه.

- القضاءُ على الأنانيّةِ وحبِّ الذّاتِ، حيث يقدّمُ كلَّ إنسانٍ ما عنده ويبذله للآخر عن حبٍّ وإيمانٍ.

## الصفةُ الثالثةَ عشرةَ: (تفريج الكربات)

**التّفْريجُ لغةً:** مصدر فرّج، وهو مأخوذٌ من مادّة (ف ر ج)، قالَ ابنُ منظور: الفرج الخلل بين الشّيْئَينِ، والجمع فروج لا يكسّر على غير ذلك. قال ابنُ الأعرابيّ: فتحات الأصابع يقال لها التّفاريج واحدها تفراج. والفرجة: الرّاحة من حزن أو مرض، وقيل: التّفصّي من الهمّ. وقد فرج له يفرج فرجا وفرجة. ويقال: ما لهذا الغمّ من فرجة، ولا فرجة ولا فرجة. يقال: فرّج الله

غمّك تفريجًا، وكذلك فرج الله عنك غمّك يفرج بالكسر فرجا: كشفه وأذهبه. وهو لغة في فرّج، وتفرّج الغمّ تكشّف.(١)

واصطلاحًا: كشف الهمّ وإذهاب الغمّ ورفع الضّرر.

**ب- <u>الكربات لغة</u>:**

الكربات جمع كربة، والكرب مصدر كرب وهو مأخوذ من مادّة (ك ر ب) الّتي تدلّ على الشّدّة والقوّة. يقال: مفاصل مكرّبة أي شديدة قويّة، وأصله الكرب وهوعقد غليظ في رشاء الدّلو، ومن الباب الكرب وهو الغمّ الشّديد. قال ابنُ منظور: الكرب، على وزن الضّرب مجزوم الرّاء: الحزن والغمّ الّذي يأخذ بالنّفس. وجمعه كروب. وكربه الأمر والغمّ يكربه كربا اشتدّ عليه، فهو مكروب وكريب، والاسم الكربة.(٢)

**<u>واصطلاحًا</u>:**

قال ابن حجر- رحمه الله: الكرب (بفتح الكافِ وسكون الرّاء بعدها موحّدة) هو ما يدهم المرء ممّا يأخذ بنفسه فيغمّه ويحزنه.(٣)

**<u>المثالُ التطبيقيُّ الأوّلُ</u> منْ حياةِ النبيِّ ﷺ في (تفريج الكربات):**

عَنْ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ، قال: "تُوُفِّيَ أبِي وعليه دَيْنٌ، فَعَرَضْتُ علَى غُرَمَائِهِ أنْ يَأْخُذُوا التَّمْرَ بما عليه، فأبَوْا ولَمْ يَرَوْا أنَّ فيه وفَاءً، فأتَيْتُ النبيَّ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ -، فَذَكَرْتُ ذلكَ له فَقالَ: إذَا جَدَدْتَهُ فَوَضَعْتَهُ في

(١) لسان العرب (٢/ ٣٤٢ - ٣٤٢)، مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (٥/ ١٧٤).
(٢) لسان العرب (١/ ٧١١- ٧١٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر (١٦١/٤) نصًا.
(٣) فتح الباري (١٥٠/١١).

المِرْبَدِ[١] آذَنْتَ رَسولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ –، فَجَاءَ ومعهُ أبو بَكْرٍ، وعُمَرُ، فَجَلَسَ عليه، ودَعَا بالبَرَكَةِ، ثُمَّ قالَ: ادْعُ غُرَمَاءَكَ، فأوْفِهِمْ، فَما تَرَكْتُ أحَدًا له علَى أبِي دَيْنٌ إلَّا قَضَيْتُهُ، وفَضَلَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ، وسْقًا سَبْعَةٌ عَجْوَةٌ، وسِتَّةٌ لَوْنٌ – أوْ سِتَّةٌ عَجْوَةٌ، وسَبْعَةٌ لَوْنٌ – فَوَافَيْتُ مع رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ المَغْرِبَ، فَذَكَرْتُ ذلكَ له، فَضَحِكَ، فَقالَ: ائْتِ أبَا بَكْرٍ، وعُمَرَ، فأخْبِرْهُمَا، فَقالَا: لقَدْ عَلِمْنَا إذْ صَنَعَ رَسولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ – ما صَنَعَ أنْ سَيَكونُ ذلكَ..[٢]".

إنَّ السّعي في تفريجِ الكربات وقضاء الحاجات من أعظم الطاعات والقربات، وسبب لنيل الرضى من الله والمحبة من الناس، فالإنسان بطبعه كائنٌ اجتماعيٌّ ومصالحه لا تتم إلا بالتعاون مع الآخرين، فاحتياجاته كثيرة وكرباته عديدة. والأمر في حساب المؤمنين لا يقتصر على الدنيا دون الآخرة، فأهوال الموت والقبور والآخرة والميزان والصراط وتطاير الصحف.. أهوال عظام ومن أعظم أسباب الخلاص منها السعي في تفريج كربات الآخرين، فعن عبدِ الله بن أبي قتادة أنَّ أبا قتادة طلب غريمًا له فتوارى عنه، ثم وجده فقال: إني معسر. فقال: آلله؟ قال: آلله. قال: فإنّي سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يقول: "من سرَّه أن يُنجيَه الله من كرب يوم القيامة فليُنفِّس عن

---

(١) "فِي المربد"، بِكَسْر الْمِيم وَسُكُون الرَّاء وَفتح الْبَاء الْمُوَحدَة وبالدال الْمُهْملَة. وَهُوَ الْموضع الَّذِي يحبس فِيهِ الْإِبِل وَغَيره، وَأهل الْمَدِينَة يسمون الْموضع الَّذِي يجفف فِيهِ التَّمْر مربدًا. (عمدة القارئ ١٣/٢٨٨) نصًّا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح/ بَاب الصُّلْحِ بَيْنَ الغُرَمَاءِ وَأَصْحَابِ المِيرَاثِ وَالمُجَازَفَةِ فِي ذَلِكَ، (٣/١٨٧/٢٧٠٩).

معسرٍ أو يضع عنه[١]"، وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، ومَنْ كانَ في حاجة أخيه كان الله في حاجتِه، ومَنْ فرَّج عن مسلمٍ كربة فرَّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومَن سَتر مسلمًا ستره الله يومَ القيامةِ[٢]"، فهذا الحديث مكانته عظيمة؛ لما فيه من البشارة والنذارة التي تدفع المؤمن للعمل في سبيل خدمة الناس. قال ابن دقيق العيد رحمه الله: هذا حديث عظيم، جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب، فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما يتيسر؛ من علم، أو مال، أو معاونة، أو إشارة بمصلحة، أو نصيحة، أو غير ذلك. فمن سعى في تفريج كربات الآخرين يسعى – في واقع الأمر وحقيقته – في تفريج كربة نفسه، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾[٣]، وقال: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [٤]ومن ذلك نجد: أنَّ النبيَّ ﷺ سعى في توفية غُرماء جابر – رضي الله عنه – وكان صلوات الله وسلامه عليه يُفرّج كرب المعدوم ومن أصابته النوائب؛ ولذلك قالت السيدة خديجة رضي الله عنها: "كلا والله ما يُخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحملُ الكلَّ، وتقري

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة/ باب فضل إنظار المعسر (١٥٦٣/١١٩٦/٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المظالم والغصب/ باب لايظلم المسلم المسلمولايسلمه (٢٤٤٢/١٢٨/٣). ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب/باب تحريم الظلم (٢٥٨٠/١٩٩٦/٤). فهو متفق عليه.

(٣) الإسراء، آية (٧).

(٤) فصلت، آية (٤٦).

الضيف، وتُكسبُ المعدوم، وتُعين على نوائبِ[1] الحقِّ[2]. فمن كان هذا وصفه، لا يُخزِهِ الله أبدًا، كما قالت أمُّ المؤمنين، فكل مقدمة لها نتيجة، والبر لا يبلى، ومن زرع خيرًا حصد خيرًا. وبذلك نجد أنَّ رسولَ الله ﷺ أوصانا بكلِّ ما هو جميل من الخلق، وكل ما يهذب سلوكنا، ويحرك نوازع الخير بداخلنا لنفيدَ أنفسنا، ويعم خيرنا على كلِّ المحيطين بنا، فتتحسن علاقاتنا بهم، وتتضاعف أواصر الثقة والمحبة والتعاون والتضامن فيما بيننا. إنَّ الله تعالى خلق الخلق وكان من سننه الكونية فيهم أنَّه فاضل بينهم في الشرف والجاه، والعلم والعبادة، والغنى والسلطان، وسخر بعضهم لبعض ليتحقق الاستخلاف وتعمير الأرض: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [3] وقال سبحانه: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [4] ففي شكوى الفقير ابتلاءٌ للغني، وفي انكسار الضعيف امتحانٌ للقوي، وفي حاجة الملهوف اختبارٌ لذوي الجاه والسلطان؛ ولذلك كان من السنن الشرعية ومحبوبات الدين الحث على قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وبذل

---

(١) (النَّائِبَةُ) الْمُصِيبَةُ وَاحِدَةُ (نَوَائِبِ) الدَّهْرِ. وَالْحُمَّى (النَّائِبَةُ) هِيَ الَّتِي تَأْتِي كُلَّ يَوْمٍ. (مختارالصحاح ١/٣٢١ اختصارا).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسي/ باب {أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي} (٩/٢٩/٦٩٨٢). ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ (١/١٣٩/١٦٠). فهو متفق عليه.

(٣) سورة الأنعامِ، (١٦٥).

(٤) الزخرف، (٣٢).

الشفاعات. والدين حسن عبادة لله وحسن معاملة مع المخلوقين، وإعانة الخلق والإحسان إليهم من أعظم ما تستجلب به النعم وتستدفع به النقم، ونفع الناس وكشف كرباتهم من صفات النبيين والمرسلين وأهل المروءات.. وقبل ذلك هي صفة من صفات ربِّ الأرض والسموات، امتدح بها نفسه، فقال ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[1] وفي النهاية نخلص إلى أنّ المعروف ذخيرة الأبد، والسعي في شئون الناس زكاة أهل المروءات، قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾.[2]

## الصفة الرابعة عشرة: (تكريم الإنسان)

**<u>التكريمُ لغةً</u>:** مصدرُ قولِهم: كرّمته أكرّمه، وهو مأخوذ من مادّة (ك ر م) الّتي تدلّ على معنيين، أحدِهما: شرف الشّيء في نفسه، أو شرف في خلق من الأخلاق، يقال: رجل كريم، ونبات كريم، وأكرم الرّجل: إذا أتى بأولاد كرام، واستكرم: اتّخذ عرقا كريما.

والكرم في الخلق، يقال: هو الصّفح عن ذنب المذنب. والآخر: الكرم، وهو القلادة، وسمّي العنب كرمًا؛ لأنّه مجتمع الشّعب، منظوم الحبّ. ومن المعنى الأوّل أخذ تكريم الإنسان في معنى تشريفه وتعظيم شأنه. وذكر الرّاغب الفضل والفضيلة من معاني الكرم، وأنّ مِنْ ذلك قوله تعالى في سورة

---

(١) سورة النمل، (٦٢).

(٢) سورة النساء، (٨٥).

الإسراء: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ........﴾[١].[٢] أمّا الكريم فهو الجامع لأنواع الخير والشّرف والفضائل، ويقال: تكرّم فلان عمّا يشينه: إذا تنزّه وأكرَمَ نفسَه عَنِ الشّائنات، والمكرّم المتكرّم على كلّ أحدٍ[٣]، والكريم من أسماء المولى – عزّ وجلّ – وصفاته: قال الغزاليّ: "الكريم: هو الّذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفّى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرّجاء، ولا يبالي كم أعطى، ولا من أعطى، وإنْ رُفِعَتْ حاجةٌ إلى غيرِهِ لا يرضى، وإذا جُفِي عاتب وما استقصى، ولا يضيع من لاذ به والتجأ، ويغنيه عن الوسائل والشّفعاء، فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلّف فهو الكريم المطلق وذلك هو الله تعالى فقط...[٤]".

**<u>تكريم الإنسان اصطلاحًا:</u>**

قال القرطبيُّ ما خلاصته: تكريمُ الإنسانِ هو ما جعله الله له من الشّرف والفضل وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال.[٥]

وقال الطّبريُّ: تكريم الإنسان (بني آدم) هو تسليط الله عزّ وجلّ إيّاهم على غيرهم من الخلق، وتسخيره سائر الخلق لهم.[٦]

---

(١) الإسراء، آية (٧٠).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ١٧١– ١٧٢). والمفردات في غريب القرآن (٣/٦٤) نصًا.

(٣) القاموس المحيط (١٤٨٩)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٦٨) نصًا.

(٤) المقصد الأسني (١/١١٧) نصًا.

(٥) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٩٣) بتصرف.

(٦) تفسير الطبري (١٥/ ٨٥) بتصرف.

وقال ابنُ كثيرٍ: تكريم الله للإنسان يتجلّى في خلقه له على أحسن الهيئات وأكملها، وفي أنْ جعلَ له سمعًا وبصرًا وفؤادًا، يفقه بذلك كلّه وينتفع به ويفرّق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصّها ومضارّها في الأمور الدّينيّة والدّنيويّة.(١)

وقال أبو حيّان: تكريم بني آدم: جعلهم ذوي كرم، بمعنى الشّرف والمحاسن الجمّة، كما تقول: ثوب كريم وفرس كريم، أي جامع للمحاسن وليس من كرم المال (في شيء).(٢)

**المثال الأول:**

ومن صورِ تكريمِ الرّسولِ ﷺ للصّحابةِ رضوان الله عليهم: ما روي عن أنسٍ – رضي الله عنه – قال: "قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَأَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي، فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَنَسًا غُلَامٌ كَيِّسٌ فَلْيَخْدُمْكَ، قَالَ: فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا، وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ، لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَ".(٣)

---

(١) بتصرف عن تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

(٢) البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، (٥٨/٦) بنصه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوصايا/ باب استخدام اليتيم في السفر والحضرإذا كان صلاحا له ونظر الأم وزوجها لليتيم (٢٧٦٨/١١/٤)، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل/ باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا (٢٣٠٩/١٨٠٤/٤) عن أنس بن مالك ... به بلفظه، فهو متفق عليه.

قال الإمام النووي رحمه الله: "وفي هذا الحديث بيان كمال خلقه ﷺ وحسن عشرته، وحلمه وصفحه[١]، ثم إنّ تكريم الخادم – كما أمرالإسلام – كفيل بأنْ يقضي على الحقد والحسد من هؤلاء الخدم الّذين قد تدفعهم الإهانات المنافية لروح الإسلام إلى ارتكاب حماقات تصل إلى حدّ القتل.

قال محقّقُ كتابِ (مناهل الصفا): وأعدل مزاج الإِنسان مزاج المؤمنين، وأعدل المؤمنين مزاجًا مزاج الأنبياء، وأعدل الأنبياء مزاجًا مزاج الرسل، وأعدل الرسل مزاجًا مزاج أولي العزم، وأعدل أولي العزم مزاجًا مزاج سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. والسبب الذي صار رسول الله ﷺ أعدل الخلق مزاجًا. فإنَّ قاعدة الأطباء أن أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن فكلما كانت أخلاق النفس أحسن كان مزاج البدن أعدل. وكانت أخلاق النفس أحسن. إذا أعلم ذلك، والحق سبحانه وتعالى قد شهد لرسوله ﷺ بأنّه على خُلُقٍ عظيمٍ. قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – القرآن فلزم من ذلك أنَّ مزاجه أعدل الأمزجة وكانت أخلاقه أحسن الأخلاق.[٢]

(١) شرح النووي على مسلم (٧١/١٥).
(٢) مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا نصًّا (٥/١).

## الصفةُ الخامسة عشرة: (التواضع)

**والتواضع لغة:**

مصدر تواضع، أي أظهرالضّعة، وهو مأخوذ من مادّة (و ض ع) الّتي تدلّ على الخفض للشّيء وحطّه، يقال: وضعته بالأرض وضعا، ووضعت المرأة ولدها.(١)

والوضائع قوم ينقلون من أرض إلى أرض يسكنون بها، والوضيع الرّجل الدّنيّ، والدّابة تضع في سيرها وضعا وهو سير سهل يخالف المرفوع.(٢)

**واصطلاحا:** إظهارالتّنزّل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، وقيل: هو تعظيم من فوقه لفضله، وقيل التّواضع هو الاستسلام للحقّ وترك الاعتراض في الحكم.(٣)

### التطبيق العملي من رسول الله ﷺ لصفة التواضع:

رُوي عن عبد الله بن أبي أوفى، أنَّه قال: "كان رسولُ الله ﷺ يكثرالذّكر ويقلّ اللّغو ويطيل الصّلاة ويقصرالخطبة ولا يأنف أنْ يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة"(٤) وفي الحديث: (إنْ كانت الأمة لتأخذ بيده

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (١١٨/٦). مختار الصحاح (٣٤١/١) نصا.

(٢) صحاح العربية لأبي نصر الفارابي (٢٤٥/٣) بتصرف.

(٣) الرسالة القشيرية (٢٧٥/١) بتصرف. المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ).

(٤) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الجمعة/ باب ما يستحب من تقصيرالخطبة (١٠٨/٣/ ١٤١٤). المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ –
==

فتنطلق به حيث شاءت، فتنطلق به في حاجتها).[١] وروى مسلم عن أنس: "أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ، انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ» فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا)[٢].

وفيه بروزه للناس وقربه منهم ليصل ذوالحق حقه ويسترشد بأقواله وأفعاله وصبره على تحمل المشاق لأجل غيره وغير ذلك[٣]. ورغم ازدحام وقته وشرف منزلته؛ فإنه ﷺ ما كان يأنف من كثير مما يأنف منه دهماء الناس، فضلًا عن أكابرهم، فما كان ﷺ يجد حَرجًا أن يمشي في حاجة الضعفاء ويسعى في قضاء أمورهم. لكن تواضعه ﷺ ما كان ليمنع هيبته في صدور الناس وهم يقفون بين يديه ﷺ، فقد أتاه رجل، فكلمه، فجعل

==

والطبراني في الأوسط (١٣٥/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد باب في تواضعه ﷺ (١٤١٢٦/٢٠/٩): رواه الطبراني وإسناده حسن. كما أخرجه الحاكم في المستدرك: كِتَابِ آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي هِيَ دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ (٤٢٢٥/٦٧١/٢)، (هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي في التلخيص.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب/ باب الكبر بلفظه. (٦٠٧٢/٢٠/٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل/ بَابُ قُرْبِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّاسِ وَتَبَرُّكِهِمْ بِهِ، بلفظه. (٢٣٢٦/١٨١٢/٤).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغيرالمؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، (٢٤١/٥) نصا.

الرجل ترْعَد فرائصُه، فقال له ﷺ: "هون عليك، فإني لست بملكٍ، إنما أنا ابن امرأةٍ تأكل القديد[١]".[٢]

وتواضعه ﷺ ليس خلقًا يتزين به أمام الناس، بل هو خُلَّة شريفة لم تفارقْه حتى وهو في بيته وبين أهله، فقد سُئلت عائشة: ما كان ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: "كان يكون في مهنة أهله – تعني: خدمة أهله – فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة"[٣].

وما أصعبَ هذا الخلقَ على من يكون له مكانة عند الناس بعلم أو جاه أومنزلة، فقد يشعر المرء أن منزلته ومكانته عند الناس تتطلب منه أن يترفع، وقد يكون في قلبه شيء من الكبر من حيث لا يشعر، ويرى أنَّ هذا من تمام الوقار ومن تمام المحافظة على هذه المنزلة التي اكتسبها بين الناس حتى لا تضيع.

وانظروا مثلًا ما الذي يسيطرعلى تفكيرالأستاذ وهو بين يدي طلابه وتلامِذته، وما الذي يسيطر على تفكير الرجل الوجيه عند الناس وهو بين

---

(١) القديد هو: اللَّحْم المَمْلُوح المُجَفَّف فِي الشَّمْسِ. (النهاية في غريب الحديث والآثر ٢٢/٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الأطعمة/ باب القديد (٣٣٢١/١١٠١/٢). وقال البوصيري في زوائد سنن ابن ماجه د :(١٩/٤): هَذَا إِسْنَاد صَحِيح رِجَاله ثِقَات. وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير/ باب تفسير سورة (ق) (٣٧٣٣/٥٠٦/٢). وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الآذان/ بَابُ: مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَهْلِهِ فَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَخَرَجَ (٦٧٦/١٢٦/١) بلفظه.

عامة الناس، فأيٌّ رجلٍ له منزلة ومكانة كالنبي ﷺ؟ وأي رجل أحق بالتقدير والتوقير والاحترام منه ﷺ؟ ومع ذلك كان ﷺ متواضعًا، وها هوﷺ الذي يناجي ربه تبارك وتعالى، والذي يتنزل عليه الوحي، والذي يحمل الرسالة، ويعلم الأمة كلها أجمع، لا يستنكف ولا يتكبر أن يمشي مع الأرملة، وأن يمشي مع المسكين، وأن يقضي للناس حوائجهم ﷺ... فعجبًا له – صلى الله عليه وسلم – ومع ذلك كان أصحابه رضوان الله عليهم لا يحد أحدهم النظر إليه إجلالًا له ﷺ، إذا تحدث النبي ﷺ خفضوا أصواتهم[١]، ومع هذه المنزلة العالية كان هذا شأنه ﷺ وتواضعه مع سائر الناس، وصدق ﷺ وهو القائل: "وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ"[٢].

## الصفة السادسة عشرة: (التوسط)

**والتوسط لغةً**: مصدرتوسّط الشّيء، وهو مأخوذ من مادّة (و س ط) الّتي تدلّ على العدل والنّصف، وأعدل الشّيء أوسطه ووسطه، ويقال: هو أوسطهم حسبًا، إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلّا، ووسط الشّيء: ما

---

(١) أخرجه البخاري بلفظ مقارب في كتاب الشروط/ باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (٢٧٣١/١٩٣/٣) ضمن حديث طويل، وفيه: وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ... الحديث.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب (باب استحباب العفو والتواضع) (٢٥٨٨/٢٠٠١/٤)، بلفظ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ».

بين طرفيه. وأوسط الشيء أفضله وخياره كوسط المرعى خيرمن طرفيه، وكوسط الدّابّة للرّكوب خير من طرفيها لتمكّن الرّاكب، وفي التّنزيل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[1] أي: عدلا أو خيارًا. وتقول: توسّط وسط الشّيء: أي صار بأوسطه، ويقال: وسطت القوم أوسطهم وسطا وسطة، أي توسّطتهم[2]. وأمّا قولهم: فلان من أوسط قومه، أي: من أشرفهم وأحسبهم. وكذلك الوسيط: الحسيب والحسن، ومنه سمّيت الصلاة الوسطى؛ لأنّها أفضل الصّلوات وأعظمها أجرًا، ولذلك خصّت بالمحافظة عليها. وقيل لأنّها وسط بين صلاتي اللّيل وصلاتي النّهار، وفي صفة نبيّنا ﷺ أنّه كان من أوسط قومه، أي خيارهم. فوسط الوادي: خير مكان فيه، وكذلك كان نبيّنا ﷺ من خير مكان في نسب العرب، وأمّته أيضا كذلك جعلت وسطًا، أي خيارًا[3].

**والتوسط اصطلاحًا:**

أنْ يتحرّى المسلمُ الاعتدالَ، ويبتعدَ عن التطرّف قولًا وفعلًا بحيث لا يقصّر ولا يغالي. وقال الرّاغب: التّوسّط: القصد المصون عن الإفراط والتّفريط. وخير الأمور الوسط.[4]

قال ابنُ الأثيرِ – رحمه الله تعالى – في بيان أفضليّة التّوسّط: (كلّ خصلةٍ محمودةٍ لها طرفان مذمومان: فالسّخاء وسط بين البخل والتّبذير،

---

(١) البقرة، آية (١٤٣).

(٢) لسان العرب اختصارا (٨/٤٨٣).

(٣) مفردات الراغب نصا (١/٥٢٢).

(٤) المرجع السابق (١/٥٢٢).

والشّجاعة وسط بين الجبن والتّهوّر، والإنسان مأمور أنْ يتجنّب كلّ وصف مذموم، وتجنّبه يكون بالتّعرّي منه، والبعد عنه، فكلّما ازداد منه بعدا ازداد إلى الوسط تقرّبا؛ ولذلك فإنّ أبعد الجهات والمقادير والمعاني من كلّ طرفين وسطها، فإذا كان في الوسط، فقد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان(١).

**ومن الأحاديثِ الواردةِ في صفة التوسط:**

ما رُوي عنْ أبِي جُحَيفةَ وَهبِ بنِ عبدِ اللهِ – رَضْيَ اللهُ عَنْه – قَالَ: آخَى النَّبُّي صَّلى اللهُ عليه وسَلَّمَ بينَ سَلمانَ وأبي الدَّرداءَ، فزارَ سَلمانُ أبا الدَّرداءِ، فرَأىَ أمَّ الدَّرداءِ مُتبذِّلةً فَقالَ: ما شَأنُكِ: قالتْ أَخُوكَ أبو الدَّرْداءِ ليس له حاجَةٌ في الدُّنيا. فجاءَ أبو الدَّرْداءِ فصَنَع له طَعامًا، فقَالَ له: كُلْ فإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: ما أنا بآكِلٍ حتَّى تأكُلَ. فأكلَ فلمَّا كانَ الليلُ ذهَبَ أبو الدَّرداءِ يقومُ، فَقالَ له: نَمْ، فنَامَ. ثمَّ ذَهَبَ يقومُ فقَالَ له: نَمْ فلمَّا كان مِنْ آخرِ اللَّيلِ قَالَ سَلمانُ: قُمِ الآنَ. فصَلَّينا جميعًا، فَقالَ له سَلمانُ: إنَّ لرَبِّكَ عليكَ حقًّا، وإنَّ لنفسِكَ عليك حقًّا، وإنَّ لأهلِك عليك حقًّا، فأَعْطِ كلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّه، فأتَى النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم فذَكرَ ذلك له، فَقال النَّبيُّ صلَّي اللهُ عليه وسَلَّم: «صَدَقَ سَلْمانُ»(٢).

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «إذا قَام أَحَدُكُم من الليل، فَاسْتَعْجَمَ القرآن على لِسَانه، فلم يَدْرِ

(١) النهاية لابن الأثير نصًّا (١٨٤/٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم/ بَابُ مَنْ أَقْسَمَ عَلَى أَخِيهِ لِيُفْطِرَ فِي التَّطَوُّعِ، وَلَمْ يَرَعَلَيْهِ قَضَاءً إِذَا كَانَ أَوْفَقَ لَهُ (١٩٦٨/٣٨/٣) بلفظه.

ما يقول، فَلْيَضْطَجِع»[1]. وعن عائشة – رضـي الله عنها – أنّها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا نعس أحدكم في الصّلاة فليرقد حتّى يذهب عنه النّوم، فإنّ أحدكم إذا صلّى وهو ناعس لعلّه يذهب يستغفر فيسبّ نفسه»[2].

وعن بريدة الأسلميّ، أنّه قال: «خرجتُ ذاتَ يومٍ، فإذا أنا بالنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يمشي بين يدي، فأدرَكتُه، فمشَيتُ معه، فأخَذ بيدي فانطلَقْنا، فإذا نحن بأيدينا رجلٌ يكثرُ الركوعَ والسجودَ، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: تراه يُرائي؟ قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلمُ، فترَك يدَه مِن يدي، وقال بيدِه فجمَعهما، ثم جعَل يُصَوِّبُهما، ويقولُ: عليكم هديًا قاصدًا، فإنه مَن يشادَّ هذا الدينَ يَغلِبْه[3]».

وعن أنسٍ بن مالك – رضي الله عنه – أنّه قال: دخل النّبيّ ﷺ، فإذا حبل ممدود بين السّاريتين، فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزينب،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة/ بَابُ أَمْرِ مَنْ نَعَسَ فِي صَلَاتِهِ، أَوِاسْتَعْجَمَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، أَو الذِّكْرُ بِأَنْ يَرْقُدَ، أَوْ يَقْعُدَ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ (٧٨٧/٥٤٣/١) بلفظه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء/ بَابُ الوُضُوءِ مِنَ النَّوْمِ، وَمَنْ لَمْ يَرَ مِنَ النَّعْسَةِ وَالنَّعْسَتَيْنِ، أَوِ الخَفْقَةِ وُضُوءًا (٢١٢/٥٣/١) ومسلم في صحيحه الموضع السابق (٧٨٦/٥٤٢/١) بلفظه، فهو متفق عليه.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٢/٣٣). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب الإيمان/ باب في قول أحدكم: (خير الدين أيسره) (٢١٦/٦٢/١): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ. وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الوتر (١١٧٦/٤٥٧/١): وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي.

فإذا فترت تعلّقت به. فقال النّبيّ ﷺ: «حلّوه، ليصلّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد[(١)]».

عـن عائشـة – رضـي الله عنهـا – أنّهـا قالـت: سـئل النّبـيّ ﷺ: أيّ الأعمال أحبّ إلى الله؟ قال: «أدومها وإنْ قلّ[(٢)]»، وقال: «اكلفوا من العمل ما تطيقون».

وعـن ابـن مسـعود – رضـي الله عنـه – أنّـه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «هلك المتنطّعون[(٣)]».. قالها ثلاثًا.[(٤)]

**التطبيقُ العمليُّ من رسول الله ﷺ لصفة التوسط:**

ما روي عن عبد الله بن عباس – رضـي الله عنـه – قال: ما أعلم نبيّ الله ﷺ قرأ القرآن كلّه في ليلة، ولا صلّى ليلة إلى الصّبح، ولا صام شهرا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التهجد/ باب مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّشْدِيدِ فِي العِبَادَةِ (١١٥٠/٥٣/٢). ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة/ بَابُ أَمْرِ مَنْ نَعَسَ فِي صَلَاتِهِ، أَوِ اسْتَعْجَمَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، أَوِ الذِّكْرُ بِأَنْ يَرْقُدَ، أَوْ يَقْعُدَ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ (٧٨٤/٥٤١/١)، فهو متفق عليه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق/ بَابُ القَصْدِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى العَمَلِ (٦٤٦٥/٩٨/٨) بلفظ مقارب، ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة/ بَابُ فَضِيلَةِ الْعَمَلِ الدَّائِمِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَغَيْرِهِ (٧٨٢/٥٤٠/١) بنحوه.

(٣) الْمُتَنَطِّعُونَ: هُمُ المُتعَمِّقون المُغالون فِي الْكَلَامِ، المتكلِّمون بأقْصَى حُلوقهم. مَأْخُوذٌ مِنَ النِّطَعِ، وَهُوَ الغارُ الأعْلى مِنَ الفَم، ثُمَّ استُعْمِل فِي كُلِّ تَعمُّق، قَوْلًا وَفِعْلًا. (النهاية في غريب الحديث لابن الآثير ٧٤/٥ نصا).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب العلم/ باب هلك المتنطعون (٢٦٧٠/٢٠٥٥/٤)، بلفظه.

كاملا غير رمضان[١]. وفيه[٢]: أنَّ النبيَّ ﷺ لم يلزم سرد الصيام الدهر كله، ولا سرد الصلاة الليل كله، رفقًا بنفسه وأمته لئلا يقتدى به في ذلك فيجحف، وإنْ كان قد أُعطى عليه السلام من القوة في أمر الله ما لو التزم الصعب منه لم ينقطع عنه فركب من العبادة الطريقة الوسطى، فصام وأفطر، وقام ونام، وبهذا أوصى عبد الله بن عمرو حين أراد التشديد على نفسه في العبادة، فقال: "إنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، وقم ونم"، فكان إذ كبر يقول: يا ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ[٣]. قال الطبريُّ: وفي أمره – عليه السلام – بالتيسير في ذلك معان، أحدهما: الأمان من الملال. والثانية: الأمان من مخالصة العجب قلب صاحبه حتى يرى كأن له فضلًا على من قصرعن مثل فعله فيهلك، ولهذا قال عليه السلام: "هلك المتنطعون".[٤]

فنهى – عليه السلام – عن التّعمّقِ في العبادة، وإجهاد النفس في العمل خشية الاقطاع، ومتى دخل أحد في شيء من العبادة لم يصلح له

(١) أخرجه النسائي في سننه، كتاب قيام الليل وتطوع النهار/ باب قيام الليل (١٦٠١/١٩٩/٣) ضمن حديث طويل. وإسناده رجاله ثقات. كما أخرجه ابن حبان في صحيحه كتاب، الصلاة/ ذِكْرُ مَا يُسْتَحَبُّ لِلْمَرْءِ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّهَارِ مَا فَاتَهُ مِنْ تَهَجُّدِهِ بِاللَّيْلِ (٢٦٤٢/٦٩/٦). بنحوه مختصرا. كما روي بعضه من حديث عبد الله بن عباس.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١١٧/٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم/ باب حق الجسد في الصوم (١٩٧٥/٣٩/٣). ومسلم في صحيحه كتاب الصوم/ بَابُ النَّهْيِ عَنْ صَوْمِ الدَّهْرِ لِمَنْ تَضَرَّرَ بِهِ أَوْ فَوَّتَ بِهِ حَقًّا أَوْ لَمْ يُفْطِرِ الْعِيدَيْنِ وَالتَّشْرِيقَ، وَبَيَانِ تَفْضِيلِ صَوْمِ يَوْمٍ، وَإِفْطَارِ يَوْمٍ (١٨١/٨١٢/٢).. مطولا. فهو متفق عليه.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١١٧/٤).

الانصراف عنها. وقد ذمَّ الله من فعل ذلك بقوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ.......﴾ [(١)] الآية، فوبّخهم على ترك التمادي فيما دخلوا فيه، وفي هذا من الفقه أنَّ أمورالدنيا نظير ذلك في أنَّ الغلو وتجاوز القصد فيها مذموم، وبذلك نزل القرآن، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[(٢)] فحمد الله في نفقاتهم ترك الإسراف والإقتار، وقال﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [(٣)]الآية، فأمر تعالى بترك التبذير في سبله التي ترجى بها الزلفة له. فالواجب على كلِّ ذى لبٍ أنْ تكون أموره كلها قصدًا في عبادة ربِّه كان أو في أمر دنياه، في عداوة كان أو محبة، في أكلٍ أو شرب أو لباس أو عري، وبكل هذا ورد الخبر عن السلف أنّهم كانوا يفعلون. وأما اجتهادُه – عليه السلام – في عبادة ربِّه؛ فإنَّ الله كان خصه من القوة بما لم يخص به غيره، فكان ما فعل من ذلك سهلًا عليه على أنّه – عليه السلام – لم يكن يحيي ليله كلَّه قيامًا ولا شهرًا كله صيامًا غير رمضان، وكان ﷺ يقوم بعض الليل وينام بعضه، وكان إذا عمل عملا داوم عليه، فأحق من أقتدي به رسول الله الذي اصطفاه الله لرسالته وانتخبه لوحيه.[(٤)] وَالْمُدَاوَمَةُ عَلَى الْعِبَادَةِ – وَإِنْ قَلَّتْ أَوْلَى – مِنْ جَهْدِ النَّفْسِ فِي كَثْرَتِهَا إِذَا انْقَطَعَتْ فَالْقَلِيلُ الدَّائِمُ أَفْضَلُ مِنَ الْكَثِيرِ الْمُنْقَطِعِ غَالِبًا. وفي هذه الأحاديث كلِّها: الحث على

(١) سورة الحديد، آية رقم (٢٧).

(٢) سورة الفرقان، آية رقم (٦٧).

(٣) سورة الإسراء، آية رقم (٢٦).

(٤) المرجع السابق (٣٠٣/٩).

الاقتداء به ﷺ، وأنَّ الخيْرَ في الاتّباعِ، سواء كان ذلك في العزيمة أوالرخصة، فإنَّ استعمالَ الرخصةِ بقصد الاتباعِ في المحل الذي وردت أولى من استعمال العزيمة، بل ربما كان استعمال العزيمة حينئذٍ مرجوحًا كما في إتمامِ الصلاةِ في السّفرِ، وربما كان مذمومًا إذا كان رغبة عن السنة، كترك المسح على الخفين.[1]

ومن ذلك أيضا ما رويَ عن أنسٍ بْنَ مَالِكٍ – رضي الله عنه – قال: كانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حتَّى نَظُنَّ أَنْ لا يَصُومَ منه، ويَصُومُ حتَّى نَظُنَّ أَنْ لا يُفْطِرَ منه شيئًا، وكانَ لا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إلَّا رَأَيْتَهُ، ولَا نَائِمًا إلَّا رَأَيْتَهُ.[2]

فهذا يدلُّ على أنَّ صَلَاتَهُ وَنَوْمَهُ ﷺ كَانَ يَخْتَلِفُ بِاللَّيْلِ وَلَا يُرَتِّبُ وَقْتًا مُعَيَّنًا، بَلْ بِحَسَبِ مَا تَيَسَّرَ لَهُ الْقِيَامُ. فَهُوَ حَاكِمٌ غَيْرُ مَحْكُومٍ، فَكَانَ يَفْعَلُ الْعِبَادَاتِ بِحَسَبِ مَا يَظْهَرُ لَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي أَوْقَاتِ الطَّاعَاتِ دُونَ الْحَالَاتِ الْمَأْلُوفَاتِ وَالْعَادَاتِ وَإِنْ كَانَتْ عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتِ الْعَادَات.

وقَالَ الطِّيبِيُّ: هَذَا التَّرْكِيبُ مِنْ بَابِ الِاسْتِثْنَاءِ عَلَى الْبَدَلِ، وَتَقْدِيرُهُ عَلَى الْإِثْبَاتِ أَنْ يُقَالَ: إِنْ تَشَأْ رُؤْيَتَهُ مُتَهَجِّدًا رَأَيْتَهُ مُتَهَجِّدًا، وَإِنْ تَشَأْ رُؤْيَتَهُ نَائِمًا رَأَيْتَهُ نَائِمًا، أَيْ: كَانَ أَمْرُهُ قَصْدًا لَا إِسْرَافَ فِيهِ وَلَا تَقْصِيرَ، يَنَامُ فِي وَقْتِ النَّوْمِ وَهُوَ أَوَّلُ اللَّيْلِ، وَيَتَهَجَّدُ فِي وَقْتِهِ وَهُوَ آخِرُهُ.[3] ومن ذلك أيضًا: ما

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢٤٣/١).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم /باب قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ مِنْ نَوْمِهِ، وَمَا نُسِخَ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ (١١٤١/٥٢/٢) ،
(٣) مرقاة المفاتيح (٩٢٦/٣).

روي عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: «كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا، وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا»[١].

فقوله: "فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا"، أَيْ: مُتَوَسِّطَةً بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، مِنَ التَّقْصِيرِ وَالتَّطْوِيلِ، "وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا". قَالَ الطِّيبِيُّ: الْقَصْدُ فِي الْأَصْلِ هُوَ الِاسْتِقَامَةُ فِي الطَّرِيقَةِ، ثُمَّ اسْتُعِيرَ لِلتَّوَسُّطِ فِي الْأُمُورِ، وَالتَّبَاعُدِ عَنِ الْإِفْرَاطِ، ثُمَّ لِلتَّوَسُّطِ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ كَالْوَسَطِ، وَذَلِكَ لَا يَقْتَضِي تَسَاوِيَ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ.[٢]

إنَّ الوسطيَّةَ مِنْ خصائصِ هذه الأمّةِ، وهي سببُ خيريّتِها، ولا تزال الأمّةُ بخيرٍ ما حافظتْ على هذه الخاصية التي تتميز بها خاصية الوسطية التي تمثِّلُ الاعتدالَ، والاستقامةَ على صراطِ الله عزَّ وجلَّ، فإذا خرجت عن الوسط إلى أحد جانبيه ففرطت أو أفرطت فقد هلكت فإنَّ التطرف مهلكةٌ، التطرف لا يختص بالغلو والإفراط، وإنما الغلو، والإفراط تطرف، والتقصير، والتفريط تطرف أيضًا، وكلاهما مهلكة للفرد، وللمجتمع. وإنَّ أمَارات الوسطية والاعتدال في الدّعوة إلى الله: مراعاة غرائز الإنسان، وتحقيق مطالب النّفْس والجسد.

لقد أودع الله داخل الإنسانِ أنواعًا من الغرائز تتفاعل داخل كيانه، وتتدافع في تعادل دقيق وتوازن مُعجز، وهي أمر مشترك بين البشر جميعًا؛

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة /باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٦/٥٩١/٢).

(٢) مرقاة المفاتيح (١٠٤٢/٢).

غير أنَّهم متفاوتون فيها، إمّا بانضباطه أو الارتقاء بها والاعتدال في ممارستها، أوالانحراف بها عن الطريق السّويّ والسلوك المهذّب.

وأخيرًا.. فالذي يُمعِنُ النظرَ في هذه النصوص، يرى أنَّها تدلُّ على أنَّ وسطيَّة الإسلامِ عامة جامعةٌ شاملةٌ للعقيدةِ والأحكامِ، والعباداتِ والمعاملاتِ، والأخلاقِ، والعاداتِ، والعواطفِ، ودين الله في الأرض، والسماء واحد، وهو دين الإسلام ، قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [(١)]، وهو بين الغلو، والتقصير. وفي التشريع الإسلامي: موازنة دقيقة بين التكليف وبين الاستطاعةِ، فلا يكلّف الله نفسًا إلا وسعها، والمشقة تجلب التيسير، والضرورات تبيح المحظورات. وفي مجالِ العِباداتِ اعتبر الشرعُ أعذارًا عديدة تعفي المكلف، وإنْ لم تكن المشقة متحققة؛ نظرًا إلى أنَّ العذر يؤدي إليها غالبًا، أو أنَّ العذر مظنة للمشقة. إنَّ الموازنة واضحة في التشريع الإسلامي بين حقوقِ الله وحقوق العباد، مع أنَّ الله تعالى هو المالكُ لكلِّ شيءٍ، وإليه يرجعُ الأمرُ كلُّه.

## الصفة السابعة عشرة: (التيسير)

**التيسيرُ لغةً**: مصدرُ يسّر، وهو مأخوذٌ من مادّة (ي س ر)، وهو ضدّ العسر. واليسرات: القوائم الخفاف، ومن الباب: يسّرت الغنم إذا كثر لبنها ونسلها، ويقال: رجل يسر ويسر، أي حسن الانقياد، واليسار: الغنى ... ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [(٢)]، يقال: تيسّر كذا، واسْتيْسرَ، أي: تسهّل، ومن ذلك قوله تعالى: {فَإِنْ

---

(١) سورة المائدة أية رقم (٣).

(٢) سورة البقرة، آية رقم (١٨٥).

أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ}، أي: تسهّل وتهيّأ، وَشَيْءٌ يَسِيرٌ: أَيْ هَيِّنٌ. ومنه أيسرت المرأة تيسّرت في كذا، أي: سهّلته وهيّأته.(١)

**واليسرُ اصطلاحًا**: عمل لا يجهد النفس ولا يثقل الجسم. والعسر ما يجهد النفس ويضرّ الجسم.(٢)

**الأمثلة على تطبيق الرسول ﷺ العملي لصفة التيسير**: ما روي عن جابر بن عبد الله، أنّه قال: إنّ عائشة – رضي الله عنها – في حجّة النّبيّ ﷺ، أهلّت بعمرة (حديث الحجّ المشهور)، وفيه: (وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا سَهْلًا، إِذَا هَوِيَتِ الشَّيْءَ تَابَعَهَا عَلَيْه).(٣)

ومَعْناه: إِذَا هَوِيَتْ شيئًا لا نقصَ فِيهِ فِي الدِّينِ مِثْلَ طَلَبِهَا الِاعْتِمَارَ وَغَيْرَهُ أَجَابَهَا إِلَيْهِ. وَقَوْلُهُ: (سَهْلًا): أَيْ سَهْلَ الْخُلُقِ كَرِيمَ الشَّمَائِلِ لَطِيفًا مُيَسَّرًا فِي الْخُلُقِ.(٤) فلقد كان رسول الله ﷺ رجلًا، رجلًا: يعني هذا وصف يعني يتميز به بعض الذكور، رجلًا: ومع ذلك سهلًا: ليس بفظٍّ ولا غليظ، سمح سهل. فإنَّ هذه الشريعة حنيفية سمحة. ولهذا لما زَنَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَامْرَأَةٌ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اذْهَبُوا بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيّ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ بُعِثَ

(١) مختار الصحاح (٣٤٩/١).

(٢) تفسير القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)(٢٦٢/٢)بنصه

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج/ باب بيان وجوه الإحرام (١٢١١/٨٨٠/٢).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٦٠/٨).

بِالتَّخْفِيفِ[1]. فكانت شريعة نبيّنِا محمّدٍ متسمة باليسر، ورفع الحرج. كما أنَّ هذا النبيَّ الكريمَﷺ، كان من صفاتِه اليسر، فهو سهل، موطأ الأكناف، مِزاجه مزاج طبيعي، ليس فيه عنت، ولا مشقة، يأخذ الأمور بالعفو، والظاهر، واليسر، لا يتكلف، بل يبغض التكلف. وكان سمحًا مع أهلِ بيتِه، يصبر منهم على ما يقع من الغيرة، ويسايرهم، ويجاريهم، فلما ألحَّت عائشة – رضي الله عنها – على النبي ﷺ أنْ تأتي بعمرة، فلما رأى شدة رغبتها، وإلحاحها وافقها. فقد وصفه الله سبحانه وتعالى بأنّه رؤوف رحيم بأمّته، وكان ﷺ في أمور التشريع والعبادة يخشى أنْ يشقَّ على أمّته، ويسعى إلى أنْ يخفف عنهم وأنْ يبعد عنهم العنت والمشقة، وكان صاحب القلب الرحيم اللين مع أزواجه ﷺ. ما أعظمَ هذا القلبَ الرحيم! وهذا مع ما يحمل ﷺ من عبء الرسالة لا لأصحابه فقط، بل للبشرية جمعاء، بل للثقلين الإنس والجن، فيتجاوز تيسير النبي ﷺ ورفقه بأمته ذاك العصر الذي عاشه، وذاك الجيل الذي عاشره؛ ليضع ﷺ هذه الضمانة لمن بعده فيدعو ربَّه تبارك وتعالى: "اللهم من ولي من أمر متي شيئًا فرفق بهم فارفق به، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه[2]"، فيضع ﷺ هذا نبراسًا وهديًا

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الحدود/ باب في رجم اليهوديين (٤/١٥٥/٤٤٥٠). وإسناده حسن فيه: عنبسة بن خالد بن يزيد الأموي مولاهم الأيلي: قال ابن حجر: صدوق. (تقريب التهذيب ١/٤٣٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة/ بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ، وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ (٢/١٤٥٨/١٨٢٨).

لكلِّ من يتحمّل أمانة ومسئولية في هذه الأمة إلى أنْ تقوم الساعة، ويدعو ربّه تبارك وتعالى وتقدس أنْ يرفق بمن يرفق بأمّته.

**ومن أمثلة التيسيرالعملية في حياته ﷺ:**

ما روي عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أنّه قال:

قال رسول الله ﷺ: "إِنِّي لَأَدْخُلُ الصَّلَاةَ أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأُخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِه[1]".

هَذَا الحَدِيثُ يدلُّ على شفقتِه ﷺ ولطفِه بأمّتِه، وَقد نبّه بِهَذَا على أَنَّ الأولى بالأئمة التَّخْفِيف، والْوَجْدُ يُطْلَقُ عَلَى الْحُزْنِ.. وَعَلَى الْحُبِّ أَيْضًا، وَكِلَاهُمَا سَائِغٌ هُنَا وَالْحُزْنُ أَظْهَرُ أَيْ مِنْ حُزْنِهَا وَاشْتِغَالِ قَلْبِهَا بِهِ. وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الرفق بالمأمومين وسائرالأتباع ومراعاة مصلحتهم، وأنْ لا يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ.[2]

ففي الحديثِ: أنَّ النساءَ كن يشهدن الصلاة خلف رسول الله ﷺ في المسجد، ومعهن صبيانهن، وأنَّ النبيَّ ﷺ كان يعلم ذلك، ويراعي في صلاته حالهن، وما يؤثرعليهن، ويجتنب ما يشق عليهن. وهذا من كرائم عادته ومحاسن أخلاقه في خشيته من إدخال المشقّة على نفوس أمته، وكان بالمؤمنين رحيمًا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة/ بَابُ مَنْ أَخَفَّ الصَّلاَةَ عِنْدَ بُكَاءِ الصَّبِيِّ (٧٠٩/١٤٣/١)، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة/ باب أمرالْأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ فِي تَمَامٍ (٤٧٠/٣٤٣/١).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨٧/٤) بتصرف.

وقد خصَّـه الله من صفة الرحمة بأتمها وأعمها، وذكر الأم غالبي فإنَّه كان أرحم الناس بالصبيان فمثلها من قام مقامها كحاضنته أو أبيه مثلا. والقصد به: بيان الرفق بالمقتدين، وفيه: إيذان بفرط رحمة المصطفى ﷺ فإنَّه قوي عليه باعث الرحمة لأمه وغلبه مع علمه بأن بكاء الطفل وصراخه ينفعه نفعا عظيما فإنه يروض أعضاءه، ويوسع أمعاءه، ويفتح صدره ويسخن دماغه، ويحمي مزاجه، ويثير حرارته الغريزية، ويحرك طبيعته لدفع ما فيها من الفضول ويدفع فضلات الدماغ إلى غير ذلك مما هو معروف.[1]

فالدين يسرٌ، والله تعالى ما كلفنا فوق وسعنا، ونية الإحسان إلى المسلم نية جميلة حسنة يثاب عليها صاحبها لكونها لله تعالى، ولا شك في أن مراعاة الإمام من دخل المسجد بالتطويل ليدرك الركعة من غير أنْ يشق على أصحابه إعانة له على طاعة مع نية التقرب إلى الله تعالى بتطويل الركن، لقد كان ﷺ على مكارم الأخلاق في أحواله كلها: في الرضا والغضب، والسرور والحزن، والرخاء والشدة، ومع الكبيروالصغير، والقريب والبعيد، والصديق والعدو، لقد اجتمع فيه ما تفرق في الناس من الفضائل، فهو الأسوة الحسنة في أقواله وأفعاله وسائر أحواله لكل من رام أنْ يكون على الخلق القويم، ولكل من أراد أن يكون على الصراط المستقيم في الدنيا وفي الآخرة. وأمثلة تيسيره ﷺ على أمته كثيرة لا تحصى، ونختم هذه الصفة بما روي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (١٧/٣).

بِـي، وَتَصْـدِيقًا بِرُسُـلِي، فَهُـوَ عَلَـيَّ ضَـامِنٌ أَنْ أُدْخِلَـهُ الْجَنَّـةَ، أَوْ أَرْجِعَـهُ إِلَـى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُـهُ لَـوْنُ دَمٍ، وَرِيحُـهُ مِسْـكٌ، وَالَّـذِي نَفْسُ مُحَمَّـدٍ بِيَـدِهِ، لَـوْلَا أَنْ يَشُـقَّ عَلَـى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَـدِهِ، لَـوَدِدْتُ أَنِّـي أَغْـزُو فِـي سَـبِيلِ اللهِ فَأُقْتَـلُ، ثُـمَّ أَغْـزُو فَأُقْتَـلُ، ثُـمَّ أَغْـزُو فَأُقْتَلُ»[1]. وعن عائشة – رضي الله عنها – أنّها قالت: (مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ... الحديث)[2]. فمن اختار الأيسر– ما لم يكن إثما – فهو متّبع لسنّة النّبـيّ ﷺ.. ذلك أنَّ التيسير يعين العبد على القيام بأوامر الله تعالى كاملة، ويجلب معونة الله للعبد، والرّجل السّهل يحبّه الخلق لما يبذله لهم، ومن يسّر أمور النّاس يسّر الله له أموره.

## الصفة الثامنة عشرة: (حسنُ الظنِّ)

**<u>والحسن لغة</u>:** (الحاء والسّين والنّون) أصلٌ واحدٌ، فالحسْنُ ضدُّ القُبحِ، يقال: رجلٌ حسنٌ، وامرأةٌ حسْناءُ، وحسّانة، والحسنُ: الجمالُ، وهو نعتٌ لمَا حسن. يقال: حسن الشّيء وحسن يحسن حُسنًا فيهما فهو حاسن وحسن.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير/ باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله (١٨٧٦/١٤٩٥/٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب/ باب صفة النبي ﷺ (٣٥٦٠/١٨٩/٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل/ بَابُ مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلْآثَامِ وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ، أَسْهَلَهُ وَانْتِقَامِهِ لِلَّهِ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِ (٢٣٢٧/١٨١٣/٤)، فهو متفق عليه.

وأحاسِنُ القَوْمِ: حِسانُهُمْ. والحُسْنَى، بالضم: ضدُّ السُّوأى. والمَحاسِنُ: المَواضِعُ الحَسَنَةُ من البَدَنِ. ووَجْهٌ مُحَسَّنٌ: حَسَنٌ، وقد حَسَّنَهُ الله. والإِحْسانُ: ضِدُّ الإساءَةِ، وهو مُحْسِنٌ ومِحْسانٌ. والحَسَنَةُ: ضِدُّ السَّيِّئَة.[١]

**الظن لغةً واصطلاحًا:**

قال ابنُ منظور: الظنّ شكّ ويقين. إلّا إنّه ليس بيقين عيان، إنّما هو يقين تدبّر، فأمّا يقين العيان فلا يقال فيه إلّا بعلم[٢]. وفي التّنزيل العزيز: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾[٣]: أي علمت.

وقال الجوهريّ: الظّنّ معروف، وقد يوضع موضع العلم.[٤] قال ابن العربيّ: الظّنّ تجويزأمرين في النّفس لأحدهما ترجيح على الآخر وعلى هذا فحسن الظّنّ ترجيح جانب الخير على جانب الشّرّ.[٥]

الظّنّ اصطلاحا: اسمٌ لما يحصل عن أمارة، ومتى قويت أدّت إلى العلم ومتى ضعفت جدّا لم تتجاوز حدّ التّوهّم.[٦]

---

(١) مقاييس اللغة (٢١٢/١)، القاموس المحيط (٢١٥/٤) بتصرف.

(٢) لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٢٧٢) اختصارًا.

(٣) سورة الحاقة، آية رقم (٢٠).

(٤) الصحاح للجوهري (٦/ ٢٢٦٠).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي –المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ). (٤/ ١٧١٢) اختصارًا.

(٦) مقاييس اللغة (٣/ ٤٦١) بنصه.

**التطبيق العَمليُّ من رسولِ الله ﷺ لصفةِ إحسانِ الظنّ:**

ما رُّوي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه – رضـي الله عنهما –، أَخْبَرَ: أَنَّـهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاه[١]، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شجرة وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: "إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي، وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا[٢]، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ،–ثَلاَثًا – " وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ.[٣]

نجد في هذا الحديثِ أنَّ رسولَ الله ﷺ رأى المصلحة في العفو عنه رجاء إسلام قومه وإقبالهم على حضرته الشريفة لما يسمعون بمحاسن هذه الأخلاق وكمال هذا الكرم فيسمعون منه ما يكون سبب إسلامهم وسعادتهم الأبدية. وفي هذه القصة تجلت الثقة بالله في أجلى مظاهرها، واندحرت قوة السيف أمام قوة الإيمان، إيمان من لا يخاف إلا الله ولا يخاف غيره، ولو كان السيف مصلتا على رأسه، وضرب النبي ﷺ المثل الكامل في العفو

(١) العِضَاه: شَجَرُ أُمِّ غَيْلان. وَكُلُّ شَجَر عَظيم لَهُ شَوْك. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/٢٥٥).

(٢) صلتًا: أَيْ مُجَرَّداً. يُقَال: أَصْلَتَ السّيفَ إِذَا جَرَّدَه مِنْ غِمْدِه. وضَرَبَهُ بالسَّيف صَلْتا وصُلْتا. النهاية في غريب الحديث والآثر لابن الأثير (٣/٤٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير/ باب مَنْ عَلَّقَ سَيْفَهُ بِالشَّجَرِ فِي السَّفَرِ عِنْدَ القَائِلَةِ (٤/٣٩/٢٩١٠). ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل/ بَابُ تَوَكُّلِهِ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَعِصْمَةِ اللهِ تَعَالَى لَهُ مِنَ النَّاسِ (٤/١٧٨٦/٨٤٣). بلفظه. فهو متفق عليه.

والتجاوز وحسن التآلف للناس وجلبهم إلى الإيمان، فلهذا العفو من الأثر في القلوب ما لا تفعله الجيوش من فتحها للإسلام أو كفها عن أذى المسلمين. رزقنا الله الاقتداء بهذا النبيِّ الكريمِ ذي القلبِ الرحيمِ والخلقِ العظيمِ.

فأعظم ما يحول بين الحق وبين الناس: ما تنطوي عليه قلوبهم من بغض أو حقد على من دعاهم إليه. فعلى من يريد أن يعرف الحق أن يخلي قلبه – ما استطاع – من كلِّ إحنة على من يريد أن يعرف ما عنده من الحق عندما يريد أن يعرف، وعلى كل داع إلى الحق أن يبذل كل جهده أن لا يظهر بمظهر العدو أو البغض لمن يدعوه. فإنه إذا سلم القلب، وحصل الفهم أثرت كلمة الحق أثرها لا محالة.(١)

ومن هذه الأمثلةِ لتطبيقِه لحسنِ الظنِّ عمليًا في حياته الكريمة ﷺ: ما روي عن عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ الأَنْصارِيّ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مَع رسول اللَّهِ ﷺ يَقُول: ُكُنْتُ أُصَلِّي لِقَوْمِي بِبَنِي سَالِمٍ وَكَانَ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَادٍ إِذَا جَاءَتِ الأَمْطَارُ، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ قِبَلَ مَسْجِدِهِمْ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي أَنْكَرْتُ بَصَرِي، وَإِنَّ الوَادِيَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِي يَسِيلُ إِذَا جَاءَتِ الأَمْطَارُ، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ، فَوَدِدْتُ أَنَّكَ تَأْتِي فَتُصَلِّي مِنْ بَيْتِي مَكَانًا، أَتَّخِذُهُ مُصَلًّى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَأَفْعَلُ» فَغَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ بَعْدَ مَا اشْتَدَّ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَذِنْتُ لَهُ فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَالَ: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟» فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى المَكَانِ الَّذِي أُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ فِيهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَبَّرَ، وَصَفَفْنَا وَرَاءَهُ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ

---

(١) مجالس التذكير من حديث النبي البشير لعبد الحميد محمد بن باديس الصنهاج (٢٧٢/١). بنصه.

وَسَلَّمْنَا حِينَ سَلَّمَ، فَحَبَسْتُهُ عَلَى خَزِيرٍ يُصْنَعُ لَهُ، فَسَمِعَ أَهْلُ الدَّارِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي، فَثَابَ رِجَالٌ مِنْهُمْ حَتَّى كَثُرَالرِّجَالُ فِي البَيْتِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: مَا فَعَلَ مَالِكٌ[١]؟ لاَ أَرَاهُ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: ذَاكَ مُنَافِقٌ لاَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لا تَقُلْ ذَاكَ أَلاَ تَرَاهُ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ"، فَقَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، أَمَّا نَحْنُ، فَوَاللَّهِ لاَ نَرَى وُدَّهُ وَلاَ حَدِيثَهُ إِلَّا

(١) قَالَ ابن عَبْدِ الْبَرِّ: الرَّجُلُ الْمُتَّهَمُ بِالنِّفَاقِ وَالَّذِي جَرَى فِيهِ هَذَا الكلام هومالك بْنُ الدُّخْشُم. قال ابن حجر: ثم روى عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: (لَمَّا أُصِيبَ عُثْمَانُ بْنُ مَالِكٍ فِي بَصَرِهِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَكَانَ عَقَبِيًّا بَدْرِيًّا بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ جِئْتَ فَصَلَّيْتَ فِي بَيْتِي أَوْ بُقْعَةٍ مِنْ دَارِي وَدَعَوْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَنَا بِالْبَرَكَةِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ فَصَلَّى فِي بَيْتِهِ وَخَرَجَ فَصَلَّى فِي بُقْعَةٍ مِنْ دَارِهِ ثُمَّ قَعَدَ الْقَوْمُ يَتَحَدَّثُونَ فَذَكَرَ بَعْضُهُمُ ابْنَ الدُّخْشُمِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَلِكَ كَهْفُ المنافقين ومأواهم)، وقال ابن عبدالبر: ولَمْ يَخْتَلِفْ فِي شُهُودِ مَالِكٍ بَدْرًا وَهُوَ الَّذِي أَسَرَ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، ثُمَّ سَاقَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لِمَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ أَلَيْسَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا). (التمهيد لابن عبد البر ١٠/١٥٥، فتح الباري ١/٥٢٢). وقد أخرج الدارمي في سننه كتاب السير/ باب غزوة بدر (٢/١٨١٦/٢٨٠٣) من طريق عَمْرُو بْنِ عَاصِمٍ، قال حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "أَيْنَ فُلَانٌ؟". فَغَمَزَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ: إِنَّهُ، وَإِنَّهُ!، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "أَلَيْسَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؟"، قَالُوا: بَلَى. قَالَ: "فَلَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٠٦): إسناده جيد.

إِلَى الْمُنَافِقِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ"(١).

فأحسن الظن به ﷺ وشهد له عليه الصلاة والسلام بإيمانه، وبأنه تشهد مخلصًا نافيًا بها تهمة النفاق عنه. وفي الحديث: أنَّه يجب على الإنسان أنْ يحبِسَ لسانَه عن الكلام في الناس، بنفاق، أو كفر أو فسق، إلا ما دعت الحاجة إليه، فإنه لا بُدَّ أن يبينه؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ لما قال رجل عن مالك: إنه منافق، قال: "لا تقل هكذا؛ أما علمت أنه قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله؟". فيستفاد من ذلك أنَّ الواجب على الإنسان إذا سمع من يغتاب أحدًا أنْ يكف غيبته وأن يسعى في إسكاته، إما بالقوة إذا كان قادرًا كأن يقول: اسكت، اتق الله، خاف الله وإما بالنصيحة المؤثرة، فإن لم يفعل فإنه يقوم ويترك المكان؛ لأن الإنسان إذا جلس في مجلس يغتاب فيه الجالسون أهل الخير والصلاح، فإنه يجب عليه أولًا أن يدافع، فإن لم يستطع فعليه أنْ يغادر وإلا كان شريكًا لهم في الإثم.

ومن ذلك نجدُ أنَّ هذا الحديثَ عظيمٌ جدًّا في معرفة حرمة الإنسان المسلم الذي يقول: لا إله إلا الله، فله حرمة لا ينبغي لأحد أن يغتابه أو يذمه، فينبغي إحسان الظن، وأنه إذا رُئِي على شيء يُتأول له: يمكن قصده كذا يمكن قصده كذا إلا إنْ ظهر نفاقه واشتهر به، فهذا أمر آخر.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة/ باب صلاة النوافل في جماعة (١١٨٦/٥٩/٢). ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة/ بَابُ الرُّخْصَةِ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجَمَاعَةِ بِعُذْرٍ (٢٦٣٩/٤٥٥/١. بلفظ مقارب.

أما كونه يتعامل مع فلان أو فلان من المنافقين أو الكفار فهذه معاملة في بيع أو شراء، ولكن حبَّه لله ولرسوله صلوات الله وسلامه عليه.. فلا نسيء الظن إلا بأمارة ظاهرة، وبدليل قوي بين، وإلا فلنحسن الظن في المسلم.

إنَّ التوجيهات النبوية بتجنب سوء الظن تشيع الثقة والمحبة بين الناس، وهي دائمًا تحث على تغليب حسن الظن فيما بينهم، وتدفعهم إلى أن يبنوا أحكامهم على الظواهر؛ لأنَّ الذي يعلم البواطن والسرائر هو الله تعالى. وعلينا دائما أن نتذكر دعاء المؤمنين الصادق: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. وحينما سئل النبيﷺ: أي الناس أفضل؟.. فقال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان» قيل: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب: قال: «هوالتقي الذي لا إثم في قلبه ولا بغي ولا غل ولا حسد»[2] وهذا هو شأن المسلم في التعامل مع الآخرين حيث نهى ﷺ أتباعه عن أن يبلغوه أخبارًا لا يحب أنْ يسمعَها.

إنَّ مِن واجبِ الإنسان العاقلِ أنْ يتذكّرَ أنَّ الرسولَ ﷺ قد دعا أتباعه في كلِّ زمانٍ ومكان إلى تغليب حسن الظن على سوء الظن، ونهاهم عن تتبع الزلات.

---

(١) سورة الحشر، آية رقم (١٠).

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الزهد/ باب الورع والتقوى (٣/١٤٠٩/٤٢١٦). وقال البوصيري في مصباح الزجاجة بزوائد سنن ابن ماجة: (٤/٢٤٠): إسناده صحيح.

وفي النهاية.. نَخلُص إلى أنَّ مِنْ أهمِّ الأخلاق الفاضلة التي أشاعها رسول الله ﷺ ونشرها بين الناس: إحسان الظن بالآخرين، وعدم التسرع في اتهامهم من دون أدلة وبراهين إدانة واضحة، وهذا هوالسلوك الراقي لأصحاب الأخلاق العالية والنفوس الطيبة.. أما هؤلاء الذين ينظرون إلى الآخرين بريبة وتوجس وخوف ويتسرعون في اتهامهم بما ليس فيهم، فهم بعيدون عن عدالة الإسلام وأخلاقياته الرفيعة.

وقد حذَّرالرسول ﷺ في حديثه الصحيح من سوء الظن، فقال: «إياكم والظن فإنَّ الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا».[1] وهو إلى جانب هذا النهي الواضح عن سوء الظن، كان يعلم المسلمين حسن الظن وعدم الجري وراء الأوهام، فقد جاءه رجلٌ يقول: (إنَّ امرأتي ولدت غلامًا أسودَ، فقال النبيﷺ: «هل لك من إبل؟» فقال: نعم. قال: «فما ألوانها؟» قال: حمر، قال: «هل فيها من أورق؟» (يعني فيه سواد) قال: إنَّ فيها لأورق. قال: «فأنى أتاها ذلك؟» قال: عسى أن يكون نزعه عرق. قال: (وهذا عسى أن يكون نزعه عرق[2]إنَّ موقف الرسول الكريم من إحسان الظن بالآخرين، وخلع المنظار الأسود عند النظر إلى أعمالهم ومواقفهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح/ باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع (٥١٤٣/١٩/٧). ومسلم في صحيحه كتاب البر واالصلة والآداب/ بَابُ تَحْرِيمِ الظَّنِّ وَالتَّجَسُّسِ وَالتَّنَافُسِ وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا. (٢٥٦٣/١٩٨٥/٤) بلفظه. فهو متفق عليه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق/ باب إذا عرض بنفي الولد (٥٣٠٥/٥٣/٧)، ومسلم في صحيحه كتاب اللعان/ بَابُ انْقِضَاءِ عِدَّةِ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، وَغَيْرِهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ (١٥٠٠/١١٣٧/٢) فهو متفق عليه.

مستمد من قول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

لقد بذلَ رسولُ اللهِ ﷺ جهودًا كبيرة لبناء الإنسان المسلم على القيم والأخلاقيات الرفيعة لكي تستقرَّ حياته، ويحققَ طموحاته، ويواجه بقوة وصلابة كل التجاوزات الأخلاقية، انطلاقًا من رسالته في الحياة كإنسان يبني ويعمر ويواجه كل صور الخروج على منهج الله. والرسول ﷺ فيعنايته بالتربية الأخلاقية للإنسان جاء بكل ما هو متحضر وراق وإنساني من السلوك، وسَمَى بأخلاق أتباعه فوق كل الصغائر، ورسم للإنسان حياة راقية تغلفها كل المعاني والآداب الراقية.

## الصفة التاسعة عشرة: (الرجولة)

<u>**الرجولة لغة:**</u> الرّجل الذّكر من نوع الإنسان خلاف المرأة. وفي هذا يقول الرّاغب: الرّجل مختصّ بالذّكر من النّاس، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾(٢)، ويقال: رجلة للمرأة إذا كانت متشبّهة بالرّجل في بعضِ أحوالِها. وقيل: إنّما يكون رجلًا فوق الغلام، وذلك إذا احتلم وشبّ، وتصغيره رجيل ورويجل، على غير قياس، والجمع رجال. وفي التّنزيل العزيز: (﴿وَٱسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾(٣)، ورجالات جمع

(١) سورة الحجرات، آية رقم (١٢).

(٢) سورة الأنعام، آية رقم (٩)

(٣) سورة البقرة، آية رقم (١٢٨).

الجمع، وقد يجمع رجل أيضا على رَجْلة. وقد يكون الرّجل صفة يعني بذلك الشّدّة والكمال.[1]

**الرجولة اصطلاحًا**: يقول الكفويّ: واسم الرّجل شرعا موضوع للذّات من صنف الذّكور من غير اعتبار وصف مجاوزة حدّ الصّغر أو القدرة على المجامعة أو غير ذلك، فيتناول كلّ ذكر من بني آدم.[2]

**التطبيق العملي من رسول الله ﷺ لصفة الرجولة:**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِنَّمَا سَعَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، لِيُرِيَ المُشْرِكِينَ قُوَّتَهُ»[3] والعلة من فعل ﷺ ذلك: لُيريَ المشركين قوته؛ لأنهم قالوا: إنّ حُمَّى يثرب أنهكتهم، فكان عليه السلام يرمل في طوافه بالبيت مقابل المسجد ومقابل السوق موضع جلوسهم وأنديتهم، فإذا توارى عنهم مشى[4].

قال بعض العلماء: إنَّ الحكمة في بقاء مشروعيته بعد زوال العلة، تَذَكُّر ما أنعم الله تعالى به على المسلمين من العِزِّ والكثرة بعد القلة، والقوة بعد الضعف، فيكون ذلك باعثًا على الانقياد، ويحصل به تعظيم الأولين،

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب (٣٤٤/١) بنصه.

(٢) الكليات للكفوي (٣٩٣/١) بنصه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج/ باب ما جاء في السعي بين الصفا والمروة (١٦٤٩/١٥٩/٢). ومسلم في صحيحه، كتاب الحج/ بَابُ اسْتِحْبَابِ الرَّمَلِ فِي الطَّوَافِ وَالْعُمْرَةِ، وَفِي الطَّوَافِ الْأَوَّلِ فِي الْحَجِّ (١٢٦٦/٩٢٣/٢). بلفظ مقارب فهو متفق عليه.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٢٧/٤). والسيرة النبوية لابن كثير (٤٣٨/٢) اختصارًا.

لما كانوا عليه من احتمال المشاق في امتثال أمر الله تعالى، والمبادرة عليه، وبذل الأنفس فيه[١]. وعن مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلاَ كَذُوبًا، وَلاَ جَبَانًا»[٢].

قال المهلب: فيه أن الرئيس قد يشجع فى بعض الأوقات إذا وجد من نفسه قوة وإن كان اللازم له أن يحوط أمر المسلمين بحياطة نفسه، لكن النبي لما رأى الفزع المستولى علم أنه ليس يكاد بما أخبره الله فى قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٣]، وأنه لا بد أن يتم أمره حتى تمر المرأة من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله؛ فلذلك أمن ﷺ فزعهم باستبراء الصيحة، وكذلك كل رئيس إذا استولى على قومه الفزع ووجد من نفسه قوة فينبغي له أن يذهب عنهم الفزع باستبرائه نفسه ولم ينكر أحد من الناس ما وصف به نفسه لاعترافهم به.[٤]

قال ابن حجر: قوله: "لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا"، فَأَشَارَ بِعَدَمِ الْجُبْنِ إِلَى كَمَالِ الْقُوَّةِ الْغَضَبِيَّةِ وَهِيَ الشَّجَاعَةُ، وَبِعَدَمِ الْكَذِبِ إِلَى كَمَالِ

(١) أحكام الاضطباع والرمل في الطواف لعبد الله بن إبراهيم الزاحم (٢٤٥/١) بنصه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير/ باب الشجاعة في الحرب والجبن ... بنحوه. (٢٨٢١/٢٢/٤).

(٣) سورة المائدة، آية رقم (٦٧).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٣٩/٥) بنصه.

الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَهِيَ الْحِكْمَةُ وَبِعَدَمِ الْبُخْلِ إِلَى كَمَالِ الْقُوَّةِ الشَّهْوَانِيَّةِ وَهُوَ الْجُودُ. وَهَذِهِ الثَّلَاث هِيَ أُمَّهَات فواضل الْأَخْلَاق.(١)

قال ابنُ المنير – رحمه الله تعالى –: وفي جمعه عليه الصلاة والسلام بين هذه الصفات لطيفة وذلك؛ لأنَّها متلازمة، وكذا أضدادها الصدق والكرم والشجاعة، وأصل المعنى هنا: الشجاعة فإنَّ الشجاع واثق من نفسه بالخلف من كسب سيفه فبالضرورة لا يبخل، وإذا سهل عليه العطاء لا يكذب بالخلف في الوعد؛ لأنَّ الخلف إنما ينشأ من البخل.(٢)

وَفِي الحديث دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ تَعْرِيفِ نَفْسِهِ بِالْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ لِمَنْ لَا يَعْرِفُهُ لِيَعْتَمِدَ عَلَيْهِ. وَقَالَ الطِّيبِيُّ: ثُمَّ هُنَا لِلتَّرَاخِي فِي الرُّتْبَةِ يَعْنِي أَنَا فِي ذَلِكَ الْعَطَاءِ لَسْتُ بِمُضْطَرٍّ إِلَيْهِ، بَلْ أُعْطِيهِ مَعَ أَرْيَحِيَّةِ نَفْسٍ وَوُفُورِ نَشَاطٍ، وَلَا بِكَذُوبٍ أَدْفَعُكُمْ عَنْ نَفْسِي، ثُمَّ أَمْنَعُكُمْ عَنْهُ، وَلَا بِجَبَانٍ أَخَافُ أَحَدًا، فَهُوَ كَالتَّتْمِيمِ لِلْكَلَامِ السَّابِقِ.(٣)

نجد من ذلك: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يؤثرعلى نفسه فيعطي العطاء ويمضي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار(٤). "أهديت إليه شملة

(١) فتح الباري لابن حجر (٥٧١/٦) بنصه.

(٢) إرشاد الساري شرح القسطلاني على صحيح البخاري (٥٤/٥) بنصه.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٧١٣/٩) بنصه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الهبة/ باب فضل الهبة والتحريض عليها (٢٥٦٧/١٥٣/٣) من طريق عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأُوَيْسِيّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ يَزِيدِ بْنِ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِي «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلاَلِ، ثُمَّ الهِلاَلِ، ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ»، فَقُلْتُ يَا خَالَةُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: "الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ، ==

فلبسها وهو محتاج إليها فسأله إياها رجل فأعطاه إياها فلامه الناس فقالوا: كان محتاجا إليها وقد علمت أنه لا يرد سائلًا، فقال: إنما سألتها لتكون كفني"[1]. وكان كرمه ﷺ في محلِّه ينفق المالَ لله وفي الله إما لفقير أو محتاج أو في سبيل الله أو تأليفا على الإسلام أو تشريعًا للأمّةِ.

وفي الشجاعة كان ﷺ أشجع الناس وأمضاهم عزما وإقداما، كان الناس يفرون وهو ثابت. قال العباس بن عبد المطلب: (لما الْتَقى المسلمون والكفار – في حنين – وولَّى المسلمون مدبرين طفق رسول الله ﷺ يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع وكان يقول حينئذ: «أنا النبيُّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب»[2].

قال أنس: كان رسول الله ﷺ أحسنَ النّاسِ وأجودَ النّاسِ وأشجعَ النّاسِ؛ لقد فزع أهلُ المدينةِ ليلة فانطلق ناس قِبَل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري

---

==

إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا" وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق ٤ /٢٣٩/ ٢٣٨٣). بلفظ مقارب. فهو متفق عليه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الآداب/ بَابُ حُسْنِ الخُلُقِ وَالسَّخَاءِ، وَمَا يُكْرَهُ مِنَ البُخْلِ (٨/١٤/٦٠٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير/ باب من قاد دابة غيره في الحرب (٤/٣٠/٢٨٦٤). ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير/ باب في غزوة حنين (٣/١٤٠٠/١٧٧٦). فهو متفق عليه.

والسيف في عنقه وهو يقول: «لن تراعوا»[1] ومع هذه الشجاعة العظيمة: كان لطيفا رحيمًا، فلم يكنْ فاحشًا ولا متفحّشًا ولا صخابًا في الأسواق ولا يجزئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح)[2]. وقال أنس: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف ولا لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لما تركته. وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويضعهم في حجره، وكان يجيب دعوة الحرِّ والعبدِ والغنيِّ والفقيرِ..

ويعود المرضى في أقصى المدينةِ ويقبل عذر المعتذر، وكان يسمعُ بكاءَ الصبيّ فيسرع في الصلاة مخافة أنْ تفتن أمه. وعَنْ عُمَر بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا عِنْدِي شَيْءٌ، وَلَكِنِ ابْتَعْ عَلَيَّ، فَإِذَا جَاءَنِي شَيْءٌ قَضَيْتُهُ" فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَعْطَيْتُهُ فَمَا كَلَّفَكَ اللَّهُ مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَ عُمَرَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفِقْ وَلا تَخَفْ مِنْ ذِي الْعَرْشِ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير/ باب الشجاعة في الحرب والجبن (٢٨٢٠/٢٢/٤) بنحوه، ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد/ باب شجاعة النبي ﷺ وتقدمه في الحرب (٤٨/١٠٨٢/٤) بلفظ مقارب. فهو متفق عليه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير/ باب: (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) (٤٨٣٨/١٣٥/٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ"أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي القُرْآنِ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب: ٤٥]، قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا".

إِقْلالا، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعُرِفَ فِي وَجْهِهِ الْبِشْرَ لِقَوْلِ الأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ قَالَ: "بِهَذَا أُمِرْتُ"(١)

هذه هي أخلاقُ النبيّ ﷺ التي مِن خلالِها تتجلى صفةُ الرجولةِ في شخصِه ﷺ والتي كان مبناها على الفتوّة والمروءة والإنسانيّة، فهذه صفات ثلاث يرجع اشتقاقها إلى جنس الذّكور وما يتحلّون به من صفات القوّة ونحوها، فالرّجولةُ نسبة إلى الرّجل والفتوّة ترجع إلى الفتى، والمروءة إلى المرء، والإنسانيّة ترجع إلى الإنسان، والرّجولة في أظهر معانيها تعني اتّصاف الإنسان بما يوصف به الرّجال عادة من نحو تحمّل الأعباء، فالرّجل الحقّ على ذلك هو من يتحمّل الأعباء وينهض بها ويصدق العهد ويحبّ التّطهّر، ولا تشغله سفاسف الأمور عن معاليها، أمّا الفتوّة فإنّها تعني اتّصاف المرءِ بما يوصف به الفتى من النّجدة والنّشاط وتوقّد الذّكاء، فالرجولة هي التّطبيق العمليّ والتّنفيذ الفعليّ لما تقتضيه الأخلاق الحميدة الّتي لا بُدّ أنْ يتحلّى بها من اتّصف بالفتوّة، وهي إذًا نتيجة حسن الخلق واستعماله (أي إخراجه إلى حيّزِ الوجود بعد أنْ كان هيئة راسخة في النّفس) فلنتخذْها نبراسًا لنا نأتم بها ونسيرعليها ونهتدي بها؛ فإنَّ الله جبله على

---

(١) أخرجه الترمذي في كتابه الشمائل المحمدية، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ (٣٣٨/٢٠١/١). وإسناده حسن فيه هشام بن سعد قال الذهبي: روى عن زيد بن أسلم ونافع والمقبري وعنه بن وهب والقعنبي وابن مهدي. وقال: حسن الحديث. وقال ابن حجر: صدوق له أوهام. (الكاشف للذهبي ٢٢٦/٢، التقريب لابن حجر ٥٧٢/١).

مكارم الأخلاق وأمرنا بالاقتداء به: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

## الصفة العشرون: (السماحة)

**السماحةُ لغة:** مصدر سمح يسمح سماحة وسماحا وسموحة، وتدلّ مادّة (س م ح) كما يقول ابن فارس على معنى السّلاسة والسّهولة، يقال: سَمح (بفتح السين) وتسمّح وسامح، فعل شيئا فسهّل فيه. ويقال أيضا سمح (بضمّ الميم)، وأسمح: إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء، وذلك لسهولة ذلك عليه. قال الجوهريّ: السّماح والسّماحة: الجود، وسمح به أي جاد به، وسمح لي أعطاني، والوصف من ذلك: سمح وسميح ومسمح ومسماح. قال ابن منظور: ويقال: رجل سمح وامرأة سمحة من رجال ونساء سماح وسمحاء فيهما، ويقال رجل سميح ومسمح ومسماح، والجمع مساميح (للمذكّر والمؤنّث). يقال: سمح وأسمح إذا جاد وأعطى عن كرمٍ وسخاءٍ، وقيل: إنّما يقال في السّخاء سمح، وسمح لي فلان، أي أعطاني، وسمح لي بذلك يسمح سماحة. وأسمح وسامح: وافقني على المطلوب. وقولهم: الحنيفيّة السّمحة: ليس فيها ضيق ولا شدّة، ولقد سمح (بالضّم) سماحة وجاد بما لديه.[2]

---

(١) (سورة الأعراف: ١٥٨).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٢٩٨)، والمصباح المنير (١/ ٣٧٦) ولسان العرب (٢/ ٤٨٩-٤٩٠) مختصرًا.

**السماحة اصطلاحًا**: ما ذكره الجرجانيّ مِنْ أنّ المراد بها: بذل ما لا يجب تفضّلا، أو ما ذكره ابن الأثير من أنّ المقصود بها: الجود عن كرم وسخاء.(١)

ومن معاني التسامح: السهولة، والحِلم، والعفو، واللين، والجود، والإحسان... والتسامحُ خُلُق نبويٌّ عظيمٌ، وكثيرًا ما كان لهذا الخلق النبوي الأثرُ الكبيرُ في تغيير نفسية من جاء يريد إيذاءه ﷺ فقد كان يأتي أحدهم وليس على وجه الأرض من هو أبغض له من النبي ﷺ ويعود وليس على وجه الأرض من هو أحبُّ إليه منه، وذلك لتسامحه وعفوه – صلوات الله وسلامه وعليه –. وهذا نبينا محمد ﷺ وقد بالغت قريش في أذاه ﷺ ثم أخرجته من بين أهله وعشيرته.. وقتلت من أصحابه الكثير كما جرح ﷺ وكسرت رباعيته وشج وجهه، ففي الحديث: عنَ عائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: "لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ، وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ، فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ

---

(١) التعريفات للجرجاني (١/١٢١)، والنهاية لابن الأثير (٢/ ٣٩٨) بلفظه.

يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا".(١) ومع ذلك حينما أمكنه الله منهم عفا عنهم، بل إنّه ﷺ عفا عن حاطب بن أبي بلتعة لما أراد أنْ يفشي سرَّ فتح مكة للمشركين ... وذلك لأنَّه شهد غزوة بدر فحين قال له عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. قال: (إنه شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر ، فقال: اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم)(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق/ باب إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ (٣٢٣١/١١٥/٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسي/ بابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ (١٧٩٥٩/١٤٢٠/٢)، بلفظ مقارب. فهو متفق عليه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير/ باب الجاسوس (٣٠٠٧/٥٩/٤) عن علي، يَقُولُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ، قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا»، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ صَدَقَكُمْ»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ: "إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ " فهو متفق عليه.

**التطبيق العملي من رسول الله ﷺ لصفة السماحة**: ولتسامحه ﷺ عمليًّا صور كثيرة، أهمها: تسامحه ﷺ في البيع والشراء، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَة: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ بَعِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْطُوهُ»، فَقَالُوا: مَا نَجِدُ إِلَّا سِنًّا أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَوْفَيْتَنِي أَوْفَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْطُوهُ، فَإِنَّ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ أَحْسَنَهُمْ قَضَاءً».(١)

قَال الزرقاني: قال بعض العارفين: وَهُوَ الْكَرَمُ الْخَفِيُّ اللَّاحِقُ بِصَدَقَةِ السِّرِّ، فَإِنَّ الْمُعْطَى لَهُ لَا يَشْعُرُ بِأَنَّهُ صَدَقَةُ سِرٍّ فِي عَلَانِيَةٍ، وَيُورِثُ ذَلِكَ صُحْبَةً وَوِدَادًا فِي نَفْسِ الْمَقْضِيِّ لَهُ وَتَخْفَى نِعْمَتُكَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ(٢) قوله ﷺ: (فإن من خيار الناس أحسنهم خلقا) مع الخلق بالبشروالتودد والشفقة والحلم عنهم والصبر عليهم وترك التكبر والاستطالة ومجانبة الغلظة والغضب والحقد والحسد وأصل ذلك غريزي وكماله مكتسب(٣) فينبغي للإنسان أن يقتدي برسول الله ﷺ في حسن القضاء ومعاملة المستقضي الذي يطلب حقه أي لا يعامله بالجفاء والسب والشتم بل باللين؛ لأنّ له حقا ومقالة، ولا في المقضي يعني يقضي أحسن مما عليه سواء كان أحسن مما عليه كيفية أو أكثر مما يطلب، وفي ذلك إحسان منه ﷺ ومعاملة طيبة من المقترض

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستقراض/ باب هل يعطي أكبر من سنه (٣/١١٦/٢٣٩٢). ومسلم في صحيحه كتاب البيوع/ بَابُ مَنِ اسْتَسْلَفَ شَيْئًا فَقَضَى خَيْرًا مِنْهُ، وَخَيْرُكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً... به بلفظ مقارب. (٢/١٢١٧/١٦٠٠). فهو متفق عليه.

(٢) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٣/ ٤٨٩)، المؤلف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري.

(٣) فيض القدير (٣/٤٨٠) اختصارا.

حيث أعطى أكثر مما أقرض، وإنَّ ذلك من مكارم الأخلاق المحمودة عرفًا وشرعًا. ولذلك فإنه يجمل بالمقترِض أن يحسن القضاء، ويكون سمحًا فيه مكافأة منه لجميل صنع المقرِض، وتعرضًا لرحمة الله تعالى في دعوة النبي ﷺ في الحديث المتقدم، واقتداء به ﷺ في فعله.

لذلك فينبغي للتاجر والصانع أن يكونا مستعملين لهذه الخصال، فإنها جامعة له تشتمل على جمل أعمال البرّ، فليأخذوا أنفسهم بها فإنها من أخلاق المؤمنين وطرائق المتقدمين، وقد ندبوا إلى جميعها، منها أن يسمح إذا باع، ويسمح إذا اشترى، ويحسن إذا قضى، ويحسن إذا اقتضى، وليمشِ الرجل بدَين غريمه إليه ولا يحوجه إلى اقتضائه فيشق عليه، وليصبر صاحب الدَين على أخيه ويحسن تقاضيه، ويحسن له النظرة ويؤخر حقه إلى ميسرته، وليغتنم دعاء رسول الله ﷺ لهم على ذلك فينافسوا في مدحه لمن فعل ذلك، فقد روي عن النبي ﷺ أنّه قال: (اسمح يسمح لك)[1]..

وقال: (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ)[2].

وفي الحديث: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٠٣/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب البيوع/ باب السماحة والسهولة وحسن المبايعة (٦٣١٠٩/٧٤/٤): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَفِيهِ مَهْدِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ، وَغَيْرُهُ، وَفِيهِ ضَعْفٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ. قلت: إسناده حسن، قال ابن معين: مهدي بن جعفر: لا بأس به. قال ابن حجر: مهدي بن جعفر: صدوق له أوهام (ميزان الاعتدال ١٩٥/٤، تقريب التهذيب ٥٤٨/١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والآداب/ باب قصة جابر رضى الله عنه (٧٤/٢٣٠١/٤). وذكر الحديث ضمن قصة.

يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ»، قَالَ: "قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ "[(١)]

وفي الحديث أنَّ كعب بن مالك تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ، وَنَادَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، فَقَالَ: «يَا كَعْبُ»، فَقَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، «فَأَشَارَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ أَنْ ضَعِ الشَّطْرَ مِنْ دَيْنِكَ»، قَالَ كَعْبٌ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُمْ فَاقْضِهِ»)[(٢)]، وفي الحديث: (كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَقٌّ، فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا»، فَقَالَ لَهُمْ: «اشْتَرُوا لَهُ سِنًّا، فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ»، فَقَالُوا: إِنَّا لَا نَجِدُ إِلَّا سِنًّا هُوَ خَيْرٌ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: «فَاشْتَرُوهُ، فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ، أَوْ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع/ باب إنظار المعسر (٢٠٧٧/٥٧/٣)، ومسلم في صحيحه كتاب المساقاة/ باب فضل إنظار المعسر (٣٠/١١٩٥/٣). بنحوه، فهومتفق عليه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة/ باب رفع الصوت في المسجد (٤٧١/١٠١/١)، ومسلم في صحيحه كتاب المساقاة/ باب استحباب الوضع من الدين (١٥٥٨/١١٩٢/٢) بنحوه، فهومتفق عليه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الديون (٢٣٠٦/٩٩/٣). ومسلم في صحيحه كتاب المساقاة/ بابُ مَنِ اسْتَسْلَفَ شَيْئًا فَقَضَى خَيْرًا مِنْهُ، وَخَيْرُكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً (١٢٠/١٢٢٥/٢). فهو متفق عليه.

ومنها أيضًا تسامُحه ﷺ مع العدوِّ والكافر: ففي الحديث عن البَرَاءِ بنِ عازب: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَعْتَمِرَ أَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ يَسْتَأْذِنُهُمْ لِيَدْخُلَ مَكَّةَ، فَاشْتَرَطُوا عَلَيْهِ أَنْ لاَ يُقِيمَ بِهَا إِلَّا ثَلاَثَ لَيَالٍ، وَلاَ يَدْخُلَهَا إِلَّا بِجُلُبَّانِ السِّلاَحِ، وَلاَ يَدْعُوَ مِنْهُمْ أَحَدًا، قَالَ: فَأَخَذَ يَكْتُبُ الشَّرْطَ بَيْنَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَكَتَبَ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ نَمْنَعْكَ وَلَبَايَعْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَنَا وَاللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَنَا وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ» قَالَ: وَكَانَ لاَ يَكْتُبُ، قَالَ: فَقَالَ لِعَلِيٍّ: «امْحَ رَسُولَ اللَّهِ» فَقَالَ عَلِيٌّ: وَاللَّهِ لاَ أَمْحَاهُ أَبَدًا، قَالَ: «فَأَرِنِيهِ»، قَالَ: فَأَرَاهُ إِيَّاهُ فَمَحَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ وَمَضَتِ الأَيَّامُ، أَتَوْا عَلِيًّا، فَقَالُوا: مُرْ صَاحِبَكَ فَلْيَرْتَحِلْ، فَذَكَرَ ذَلِكَ عَلِيٌّ رضي الله عنه لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «نَعَمْ» ثُمَّ ارْتَحَلَ.[١]

والشاهد هنا: هو تسامحه ﷺ مع عدوه وكونه بلغ من المسامحة أنْ محا وصفه ﷺ من العهد الذي بينه وبين قريش. كذلك أصدرالعفو عنهم ﷺ عفوا كاملا بعد تمكين الله له ﷺ بفتح مكة أصدر وثيقة التسامح بقوله: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"، فهذه أعظمُ وثيقةٍ للتسامحِ أطلقها رسول الله ﷺ يوم فتح مكة حينما ملك أمر من طردوه واتهموه باتهمامات باطلة ما أنزل الله بها من سلطان وضيقوا الخناق على كلِّ أتباعِهِ ومناصريه، وبرغم كل ذلك لم يفكر رسولنا الكريم ﷺ في الانتقام أو الثأر منهم أو حتى رد الإساءة بالإساءة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح بَابُ المُصَالَحَةِ عَلَى ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، أَوْ وَقْتٍ مَعْلُومٍ. (٤/١٠٣/٣١٨٤).

**كذلك من صور تسامحه ﷺ عمليًّا: تسامحه مع الجاهل والمسيء:**

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ «أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»[١].

قال ابن حجر: في هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ حِلْمِهِ ﷺ وَصَبْرِهِ عَلَى الْأَذَى فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالتَّجَاوُزِعَلَى جَفَاءِ مَنْ يُرِيدُ تَأَلُّفَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَلِيَتَأَسَّى بِهِ الْوُلَاةُ بَعْدَهُ فِي خُلُقِهِ الْجَمِيلِ مِنَ الصَّفْحِ وَالْإِغْضَاءِ وَالدَّفْعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ[٢]. وقال النووي: في الحديث: احْتِمَالُ الْجَاهِلِينَ وَالْإِعْرَاضُ عَنْ مُقَابَلَتِهِمْ، وَدَفْعُ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ وَإِعْطَاءُ مَنْ يُتَأَلَّفُ قَلْبَهُ وَالْعَفْوُ عَنْ مُرْتَكِبِ كَبِيرَةٍ لَا حَدَّ فِيهَا بِجَهْلِهِ. وَفِيهِ كَمَالُ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحِلْمِهِ وَصَفْحِهِ الْجَمِيلِ[٣]. وقد أمر الله نبيه ﷺ بالتسامح والعفو والإحسان، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾. [٤]

---

(١) خرجه البخاري في صحيحه كتاب فرض الخمس/ باب ما كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الخُمُسِ وَنَحْوِهِ (٣١٤٩/٩٤/٤).

(٢) فتح الباري (٥٠٦/١٠) بنصه.

(٣) شرح النووي على مسلم (١٤٧/٧) بنصه. –المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ).

(٤) فُصّلت، آية (٣٥).

ومِنْ فَوائِدِ السماحَةِ: أنَّ السّمحَ محبوبٌ لدى أهلِهِ ومجتمعِه، وكذلك السّماحةُ في البيعِ والشّراءِ بابٌ عظيمٌ مِنْ أَبْوابِ كسْبِ الرّزقِ وتكثيرِه. وهي تَجْلِبُ التّيسيرَ في الأمور كلّها، وبها يغنم الإنسانُ أكبرَ قدرٍ مِنَ السّعادةِ وهناءةِ العيش. ويجلب سمح النّفس الخير الدّنيويّ؛ حيث يميلُ النّاسُ إلى التّعامُلِ معه فيكثر عليه الخير بكثرة محبّيه والمتعاملين معه... فيجب الاقتداءُ به ﷺ والسيرُعلى هداه.

**خاتمة البحث**:

وبعدُ.. فقد اشتملَ البحثُ على عددٍ من صفاتِ النبيّ ﷺ في حياتِه العمليّةِ والتي أمرنا باتّباعها ليكونَ لنا منه ﷺ القدوة والأسوة الحسنة، وقد شاء الله تعالى أنْ تقومَ حياةُ المجتمعِ الإنسانيّ على أساسٍ معيارسٍّ، يعكس حياة معنوية يمثلها الأفراد، تتميز بالقوة والأصالة. وتعتبر الأخلاقُ صورةَ المجتمعِ؛ لأنَّها الضابطُ والمعيارُ والموقف الأساسي للسلوك الفردي والاجتماعي، أو القواعد الأساسية الممنوحة من الله للإنسان لتنظيم حياته، وهي تنتظم فيما يسمى بالبناء الأخلاقي أو النظام الأخلاقي الذي يعكس أهدافَ المجتمع، ومصادر تكوينه وطبيعة بنائه.

والمجتمعُ الإسلاميُّ له أخلاقُه التي تضبط وتحدد السلوك، بمعنى أنَّ له بناءَه المعياريَّ، الذي نبع في الأساسِ من المصدرين الأساسيين: القرآن والسنة المطهرة، فالقرآن بما أتى به من مكارمِ الأخلاقِ التي تجسّدت في شخصِ الرسولِ الكريمِ ﷺ وتُرجِمت في أقواله وأفعاله وهي المصدر الأساسيُّ المعتمد للقيم في المجتمع الإسلامي.

ولذلك كانتْ أهمُّ نتائجٍ للبحثِ:

أنَّه لا بُدّ من إعادة القيم الأخلاقيّةِ الإسلاميّةِ إلى مكانِها الصحيحِ، في إطارِ التكامل بين الدين والدنيا، لتحقيق الوسطية التي هي حقيقةُ الإسلامِ.

هذه هي السيرة والأخلاق التي ينبغي أنْ نحياها في مشاريعِنا ومناهجنا ومسيرتنا في هذه الحياة، لا الأخلاق المادية الأنانية التي يتخلق بها الأنانيون وأصحابُ المصلحةِ، فالمشاريع الماديّة الوضعية لا تتّصف إلّا

بـالأخلاقِ الجاهليّـةِ الجافّـةِ، ولا تعيـر إلـى القـيم الروحيّـة والإنسـانية أدنـى أهميّة.

إنَّ مثل هذه الأخلاق التي اتّصفَ بها ﷺ تجعل الحياة مليئةً بالسّعادة الروحية، والراحة النفسيّة، واطمئنان القلب. ولتحقيقِ ذلك على الدّوامِ يجب علينا: مطالعة السيرة النبوية الشريفة، والعمل بها، واتّخاذ النبي ﷺ قدوةً لنا في حياتِنا، والتأدب بآدابه من خلال تقصي كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ تتعلّق بآدابه، وأخلاقه، وطرق تعامله في حياتنا لكي نحيا في هذه الدنيا حياة مثالية ملؤها السعادة والأمل والهناء والإيمان والتقوى والرحمة مع كلِّ الناسِ في مختلف المجتمعات والأمم في الأرض مثلما كان ﷺ مثلا صادقًا عظيمًا سارت على خطاه الأمّةُ الإسلاميّةُ جمعاء.

**ومن ثم كانت توصيات البحث هي:**

أوصي الباحثينَ والباحثاتِ بمراعاةِ البحثِ والدراسة التي تتّسم بالجانب العملي التطبيقي لجوانب شخصيّةِ رسولِ ونبيِّ الأمّةِ – صلى الله عليه وسلم –؛ لأنَّ الدراسةَ التي غالبا تتّسم بالأمثلة العملية توضح المرادَ، وتحقّقُ الهدف المنوط منه وتنعكس إلى مرحلة تطبيق عملي ينتقل من فرد إلى مجتمع لعظم تأثير تطبيق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للصّفةِ في النفوس.

دراسة أخلاقِه – صلى الله عليه وسلم – وبحثها بحثًا عميقًا بهذه الطريقة ومطالعتها بدقّةٍ متناهية – فلم أذكر منها إلا القليل – فالأخلاقُ هي الهدفُ الأسمى من بعثةِ الرّسولِ – صلى الله عليه وسلم –، والناس جميعا أحوج ما يكونون إلى هذه الأمثلة العملية لتطبيقه – صلى الله عليه وسلم – للخلق.

المكتبة الإسلاميَّة بحاجةٍ ملحّةٍ إلى تأليف تبين مواضع العِبرةِ والدلالة في أخلاقه – صلى الله عليه وسلم –، مع مقارنتها بما ينبغي أن يعمل مثيلًا لها في الحال الحاضر، بل في كلِّ عصرٍ، وكلِّ مصر.

## المصادر والمراجع

**أولا: القرآن الكريم.**

**ثانيا: كتب الحديث، وتحتها أقسام عدة:**

**١. كتب متون الحديث:**

– تهذيب الآثار: لمحمدٍ بن جرير أبي جعفرالطبري، تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا ط أولى.

– الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسننه وأيامه، المشهور بصحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي ط ١ ٢٤٢٢هـ.

– الجامع الكبير، سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ). تحقيق: بشار عواد معروف، ط ١ ١٩٩٨.

– سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

– سنن ابنُ ماجة، لابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

– السنن الصغرى للنسائي، لأبي عبد الرحمن الخراساني النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢ ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – ط١ ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

ـ المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع، ط١ ١٤١١ – ١٩٩٠.

– السنن الكبرى لأحمد بن الحسين بن علي أبي بكر البيهقي، ط ٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

**٢ـ كتب غريب الحديث:**

. الفائق في غريب الحديث والأثر، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، ط٢.

– النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوى – ط١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

**٣. كتب شروح الأحاديث:**

– إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد القسطلاني. ط٧ ١٣٢٣ هـ.

– شرح سنن أبـي داود، لعبد المحسن بن حمد بن عبد الله بن حمد العباد البدر.

ـ شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم. ط٢ ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

– شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

– عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، لأبـي محمد محمود بن بدر الدين العيني.

– عون المعبودِ، شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبـي داود وإيضاح علله ومشكلاته. لمحمد أشرف بن أمير، العظيم آبادي. ط ١٤١٥ هـ.

– فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.

– فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي القاهري. ط١ .١٣٥٦.

. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لجمال الدين أبـي الفرج الجوزي. تحقيق: علي حسين البواب.

– مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، لعليّ بن (سلطان) القاري، ط ١ ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

**الثا: كتب تراجم الرجال:**

– الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١ ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢.

– الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن الرازي ابن أبي حاتم، ط١ ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م.

– طبقات الحنابلة، لأبي الحسين بن أبي يعلى، محمد بن محمد. تحقيق: محمد حامد الفقي.

– الكامل في ضعفاء الرجال لأبي أحمد بن عدي الجرجاني. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض ط١ ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

**رابعا: كتب السيرة النبوية:**

. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد. المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض ط١ ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.

– السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٦ م.

– المغازي، لمحمدٍ بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي . تحقيق: مارسدن جونس ط٣ – ١٤٠٩/١٩٨٩.

– المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري.

**خامسا: كتب تخريج الأحاديث:**

. مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا لعبدِ الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. تحقيق: الشيخ سمير القاضي، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨.

**سادسًا: كتب الحكم على الحديث:**

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

**سابعا: كتب التفسير:**

ـ أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي.

ـ التحرير والتنوير لمحمد بن عاشور التونسي. ط١ ١٩٨٤ هـ.

– تفسير الطبري وهو يسمى بجامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير أبي جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ط١ ٢٠٠٣.

ـ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله القرطبي، ط٢ ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

. محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، لمحمد جمال الدين القاسمي، محمد باسل عيون السود ط١ .١٤١٨.

ـ المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني. تحقيق: صفوان عدنان الداودي ط١ – ١٤١٢ هـ.

**كتب الفقه:**

– إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد.

**معاجم اللغة:**

. تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي. مجموعة من المحققين.

ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ط ٤.

. القاموس المحيط،لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ط٨.

ـ لسان العرب/ لمحمد بن مكرم بن على أبي الفضل الإفريقى، ط ٣ ١٤١٤م.

. مختار الصحاح، لزين الدين أبي عبد الله الرازي. تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط ٥ ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد أبي العباس.

ـ معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط١ ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

## References and resources

**1-The Glorious Quran**

**2- Hadith Books, divided into:**

**First: Textbooks:**

1- *Tahzeeb Al-Athar*, At-Tabari, 1st edition.
2- *Sahih Al-Bukhari*, Abu Abd Allah Al-Bukhari, 1st edition, 9 parts.
3- *Al-Jamea Al-Kabir- Sunnan At-Tirmizeyy*, At-Tirmizeyy, 6 parts.
4- *Sunnan Abi Dawoud*, Abu Dawoud.
5- *Sunnan Ibn Majah*, Ibn Majah, 2 parts.
6- *Al-Mujtaba min As-Sunnan (As-Sunnan As-Sughra li An-Nasaai)*, An-Nasaai, 2nd edition, 1406AH-1986AD.
7- *Musnad Al-Imam Ahmad Ibn Hanbal*, Ibn Hanbal, 1st edition, 1421AH-2001AD.
8- *As-Sunnan Al-Kubra*, Al-Baihaqi, 3rd edition, 1424AH-2003AD.

**Second: Obscure Hadith Terms Books:**

1- *Al-Faeq fi Ghraib Al-Hadith wa Al-Athr*, Az-Zamakhshari, 2nd edition.
2- *An-Nehayah fi Gharib Al-Hadith wa Al-Athr*, Ibn Al-Athir.

**Third: Hadith Explanation Books:**

1- *Irshad As-Sari Li Sharh Sahih Al-Bukhari*, Al-Qastalani, 7th edition, 1323AH.

2- *Sharh Sunnan Abi Dawoud*, Abd Al-Muhsin bin Hamd Al-Abbad Al-Badr.

3- *Sharh Sahih Al-Bukhari*, Ibn Battal.

4- *Sharh Az-Zarqani ala Muwataa Al-Imam Malik*, Muhammad Bin Abd Al-Baqi Az-Zarqani Al-Azhari, 1st edition, 1424AH-2003AD. 4 parts.

5- *Omdat Al-Qari Sharh Sahih Al-Bukhari*, Abu Muhammad Mahmoud Bin Badr Ad-Deen Al-Ainy.

6- *Awn Al-Maaboud Sharh Sunnan Abi Dawoud*, Muhammad Ashraf Bin Amir Al-Azimbadi, 2nd edition, 1415AH.

**Fourth: Books of the biographies of Hadith narrators:**

1- *Al-Istiaab fi Marifat Al-AShab*, Al-Qurtubi, 1st edition, 1412AH-1992AD.

2- *Al-Jarh wa At-Tadeel*, Ar-Razi Ibn Abi Hatem, 1st edition, 1271AH-1952AD.

3- *Tabaqat Al-Hanabilah*, Abu Al-Hussein Ibn Abi Yaali.

4- *Al-Kamel fi Doafaa Ar-Rijal*, Abu Ahmad Al-Jirjani, 1st edition, 1418AH-1997AD

**Fifth: Books of Prophet Muhammad Sirah (Biography):**

1- *Subul Al-Huda wa Ar-Rashad fi sirat Khayr al-Ibad wa Zikr Fadaeluh wa Alam Nubuwateh wa Afaluh wa Ahwaluh fi Al-Mabdaa wa Al-Maad*, Muhammad Bin Yusuf As-Salehi, 1st edition, 1414AH-1993AD, 12 parts.

2- *As-Sirah An-Nabawiyyah (Min Al-Bedayah wa An-Nihayah li Ibn Kathir),* Ibn Kathir, 1395AH-1976AD.

3- *Al-Maghazi*, Abu Abd Allah Al-Waqedi, 3rd edition, 1409/1989, 3 parts.

4- *Al-Mawaheb Al-Laduniyyah bi Al-Minah Al-Muhammadiyyah,* Al-Qastalani Al-Qutaybi.

**Fifth: Books of Hadith Verification and Acceptance:**

1- *Manahel As-Safa fi Takhrij Ahadith Ash-Shifaa*, As-Soyouti, 1st edition, 1408AH-1988AD.

2- *Majmaa Az-Zawaed wa Manaba Al-Fawaed,* Al-Haithami.

**3- Exegesis Books**

1- *Ahkam Al-Quran*, Al-Qadi Ibn Al-Arabi Al-Maaferi Al-Ishbili.

2- *At-Tahreer wa At-Tanweer*, Ibn Ashur.

3- *Tafsir At-Tabari*, Ibn Jarir At-Tabari, 1st edition, 2003AD.

4- *Tafsir Al-Qurtubi*, 2nd edition, 1384AH-1964AD.

5- *Mahasen At-Taweel* (Tafsir Al-Qasemi), Muhammad Gamal Ad-Deen Al-Qasemi, 1st edition.

6- *Al-Mufradat fi Gharib Al-Quran,* Al-Asfahani, 1st edition, 1412AH.

**Jurisprudence Books:**

1- *Ihkam Al-Ahkam Sharh Omdat Al-Ahkam*, Ibn Daqiq Al-Aid.

**Books of Language Obscure Terms:**


1- *Taj Al-Arous min Gawaher Al-Qamous*, Az-Zubaydi.

2- *As-Sahhah Taj Al-Lughah wa Sihah Al-Arabiyyah*, Al-Juhari Al-Farabi, 4th edition.

3- *Al-Qamous Al-Muheet,* Al-Fayrouzabadi, 8th edition.

4- *Lisan Al-Arab,* Abu Al-Fadl Al-Ifriqi, 3rd edition, 1414AH.

5- *Mukhtar As-Sahhah,* Ar-Razi.

6- *Al-Misbah Al-Munir fi Gharib Ash-Sharh Al-Kabir*, Ahmad Bin Muhammad Abu Al-Abbas.

7- *Mujam Maqayees Al-Lughah*, Al-Qazweeni Ar-Razi.

# محتويات البحث